موسوعة الأخلاق

الجزء السادس

السَّتْرُ - السَّكِينَة - سَلَامَةُ الصَّدْر - السَّمَاحة - الشَّجَاعَة

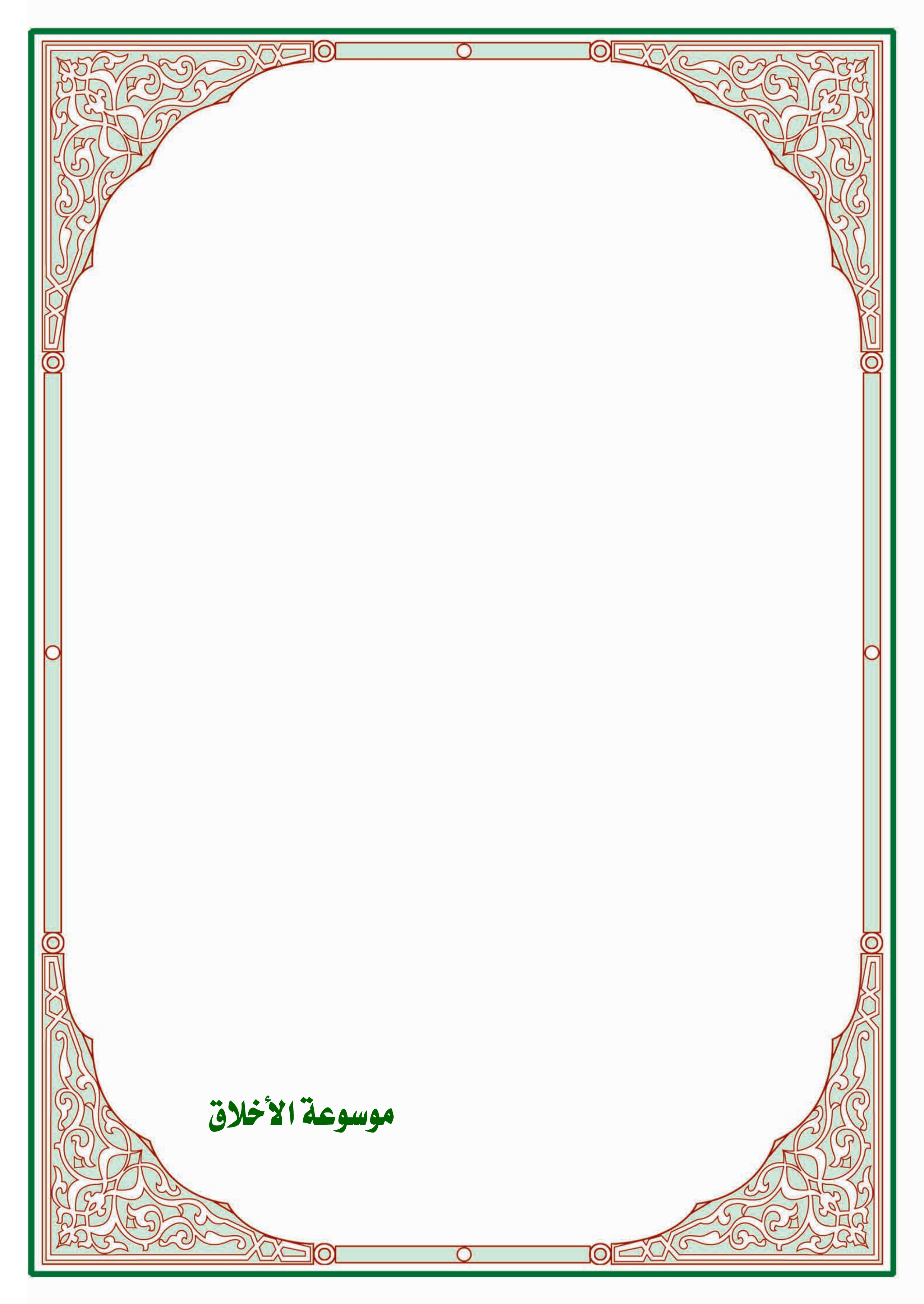
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

عَلَوِيّ بن عبد القادر السَّقَّاف




موسوعة الأخلاق



موسوعة الأخلاق

الجزء السادس

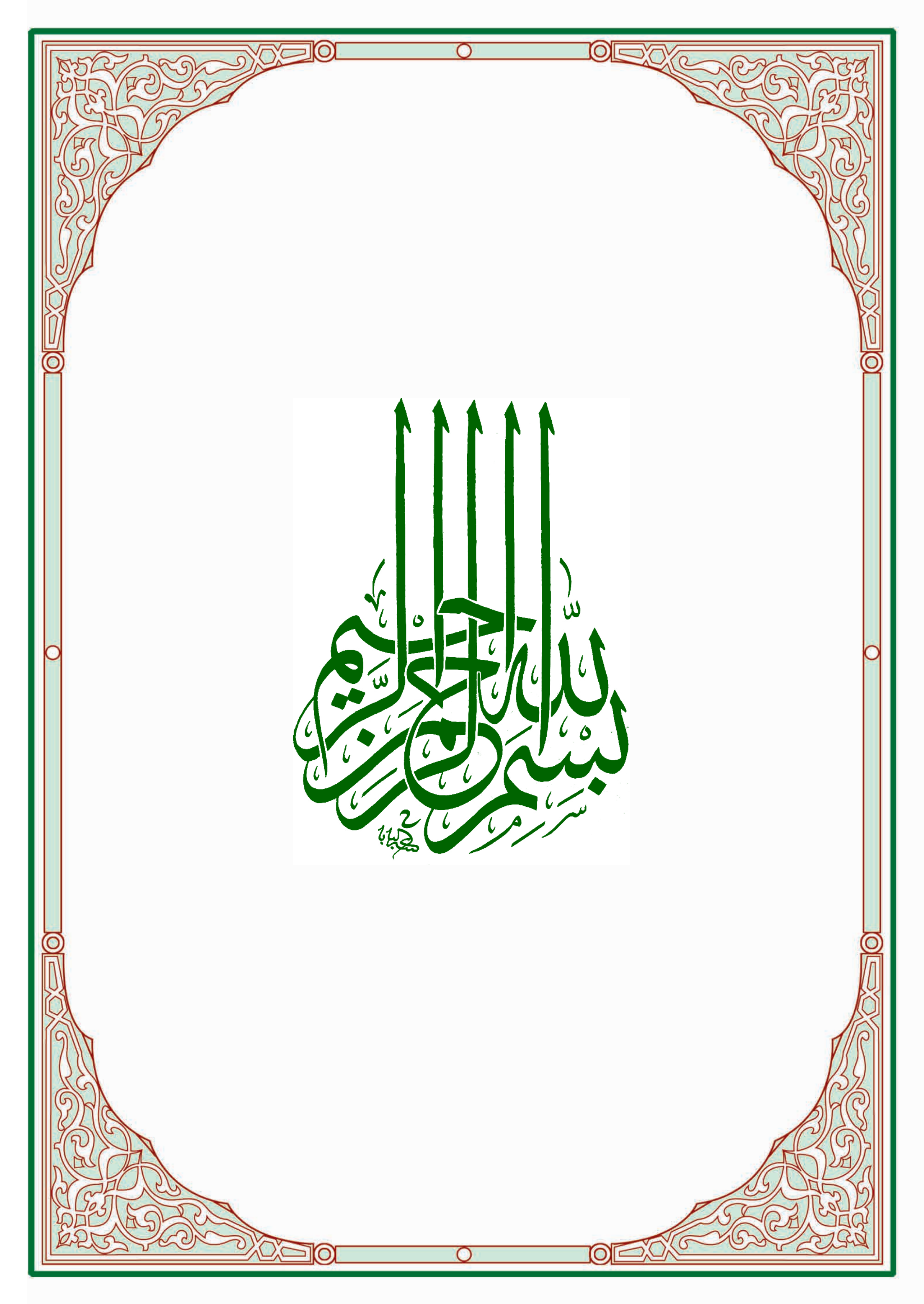
السَّتْرُ - السَّكِينَة - سَلَامَةُ الصَّدْر - السَّمَاحة - الشَّجَاعَة

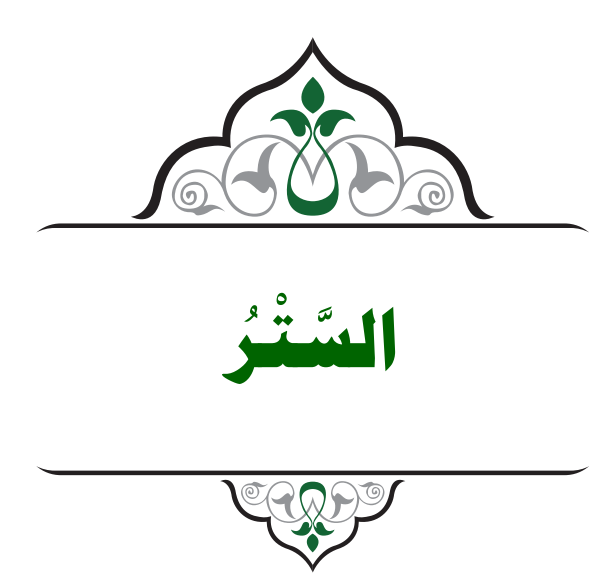
إعداد

القسم العلمي بمؤسسة الدرر السنية

إشراف الشيخ

علوي بن عبد القادر السَّقَّاف


بسم الله الرحمن الرحيم



السَّتْرُ

السَّتْرُ

معنى السَّتر لغةً واصطلاحًا:

• معنى السَّتر لغةً:

السَّتْرُ: تَغطية الشَّيء، وهو مَصْدَرُ سَتَر الشَّيء يَسْتُرُه ويَسْتِرُه سَتْرًا وسَتَرًا، أي: غَطَّاهُ أو أخفاهُ.

وكلُّ شَيْء سَتَرْتَه فالشَّيء مَسْتُور، والذي تَسْتُرُه به سِتْرٌ له.

والسِّتْرُ والسُّتْرَةُ والمِسْتَرُ والسِّتَارُ والسِّتَارَةُ: ما يُسْتَتَرُ به، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ [الكهف: ٩٠][(١)].

• معنى السَّتر اصطلاحًا:

المراد بالسَّتْر هنا (السَّتْرُ على المسلم إن وقع في معصية، شريطة أن لا يعلنها ويجهر بها)[(٢)].

وقيل: (السَّتْرُ هو: إخفاء العيب، وعدم إظهاره، فمن كان معروفًا بالاستقامة، وحصل منه الوقوع في المعصية، نُوصِح وسُتِر عليه)[(٣)].

الفرق بين الغُفْران والسَّتر:

(أنَّ الغُفْران أخصُّ، وهو يقتضي إيجاب الثَّواب. والسَّتْر: سَتْرُك الشَّيء

---

(١) انظر: ((المفردات في غريب القرآن)) للراغب الأصفهاني (٣٩٦/١)، ((جمهرة اللغة)) لابن دريد (٣٩٢/١)، ((تهذيب اللغة)) للأزهري (٢٦٥/١٢)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (١٣٢/٣)، ((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (٤٦٥/٨، ٤٦٦)، ((مختار الصِّحاح)) للرازي (١٤٢/١)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٣٤٣/٤، ٣٤٤)، ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (٤٠٤/١)، ((تاج العروس)) للزبيدي (٤٩٨/١١).

(٢) انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (١١٧/٥)، و((التَّرغيب والتَّرهيب)) للمنذري (٢٣٧/٣).

(٣) ((فتح القوي المتين)) للشيخ عبد المحسن العباد (ص ١٢٢).

بسِتْرٍ، ثم استعمل في الإضراب عن ذِكْر الشَّيء، فيقال: سُتِر فلانٌ، إذا لم يُذْكر ما اطُّلِع عليه من عثراته. وسَتَر الله عليه، خلاف فضحه. ولا يقال لمن يُسْتر عليه في الدُّنيا إنَّه غُفِر له؛ لأنَّ الغُفْران يُنبئ عن استحقاق الثَّواب على ما ذكرنا، ويجوز أن يُستر في الدُّنيا على الكافر والفاسق)[١].

وقال أبو البقاء الكفوي: (الغُفْران: يقتضي إسقاط العقاب، ونيل الثَّواب، ولا يستحقُّه إلَّا المؤمن، ولا يُستعمل إلَّا في البارئ تعالى. والسَّتْرُ: أخص من الغُفْران إذ يجوز أن يَسْتر ولا يَغْفر)[٢].

التَّرغيب في السَّتْر:

أولًا: في القرآن الكريم

لقد حثَّ الإسلام على السَّتْر، ورغَّب فيه، واتَّخذ وسائل من أجل ذلك، فشرع حدَّ القذف، حتَّى لا يُطْلِق كلُّ أحد لسانه، وكذا أمر في إثبات حدِّ الزِّنى بأربعة شهود، ونهى عن أن يتجسَّس المسلم على أخيه، كما توعَّد بالعذاب لكلِّ من يشيع الفاحشة في المؤمنين:

- قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النُّور: ١٩].

قال ابن كثير: (أي: يختارون ظهور الكلام عنهم بالقبيح، ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا﴾ أي: بالحدِّ، وفي الآخرة بالعذاب)[٣].

- وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ

---

(١) ((الفروق اللغوية)) للعسكري (١/٢٣٦).

(٢) ((الكليات)) للكفوي (١/٦٦٦).

(٣) ((تفسير ابن كثير)) (٦/٢٩).

وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ قال: (خذوا ما ظهر لكم، ودعوا ما سَتَرَ الله)[١].

وقال الطَّبري: (وقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ يقول: ولا يتتبَّع بعضكم عَوْرة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظُّهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذمُّوا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره)[٢].

- وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصِّلت: ٢٢].

قال القرطبي: (معنى ﴿تَسْتَتِرُونَ﴾: تستخفون، في قول أكثر العلماء، أي: ما كنتم تستخفون من أنفسكم حذرًا من شهادة الجوارح عليكم، ولأنَّ الإنسان لا يمكنه أن يُخفِي من نفسه عمله، فيكون الاستخفاء بمعنى ترك المعصية)[٣].

وقال البيضاوي: (أي: كنتم تَسْتَتِرون عن النَّاس عند ارتكاب الفواحش، مخافة الفضيحة، وما ظننتم أنَّ أعضاءكم تشهد عليكم بها، فما اسْتَتَرْتم عنها. وفيه تنبيه على أنَّ المؤمن ينبغي أن يتحقَّق أنَّه لا يمرُّ عليه حال إلا وهو عليه رقيب. ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصِّلت: ٢٢] فلذلك اجترأتم على ما فعلتم)[٤].

(١) ((تفسير الطَّبري)) (٢١/٣٧٥).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((تفسير القرطبي)) (١٥/٣٥٢).
(٤) ((تفسير البيضاوي)) (٥/٧٠).

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

كان النَّبي صلى الله عليه وسلم إذا بلغه عن الرَّجل الشَّيء، لم يقل: ما بال فلان يقول؟ ولكن يقول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا؟ وهذا مشهور عنه صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة[١].

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: كلُّ أمَّتي معافى إلا المجَاهرين، وإنَّ من المجَاهرة: أن يعمل الرَّجل باللَّيل عملًا، ثمَّ يصبح وقد سَتَره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا. وقد بات يَسْتُره ربُّه، ويصبح يكشف سِتْر الله عنه))[٢].

قال ابن الجوزي: (المجَاهرون: الذين يجاهرون بالفواحش، ويتحدَّثون بما قد فعلوه منها سرًّا، والنَّاس في عافية من جهة الهمِّ مستورون، وهؤلاء مُفْتَضحون)[٣].

قال العيني: (أنَّ ستْر الله مستلزم لستْر المؤمن على نفسه، فمن قصد إظهار المعصية والمجَاهرة، فقد أغضب الله تعالى فلم يَسْتُره، ومن قصد التَّسَتُّر بها حياءً من ربِّه ومن النَّاس، مَنَّ الله عليه بِسِتره إيَّاه)[٤].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من نفَّس عن مؤمن كُرْبة من كُرَب الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُرْبة من كُرَب الآخرة، ومن سَتَر على مسلم، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه))[٥].

---

(١) انظر على سبيل المثال ما رواه البخاري (٤٥٦، ٧٥٠).
(٢) رواه البخاري (٦٠٦٩) واللَّفظ له، ومسلم (٢٩٩٠).
(٣) ((كشف المشكل)) لابن الجوزي (٣/٣٩٧).
(٤) ((عمدة القاري)) للعيني (٢٢/١٣٨).
(٥) رواه مسلم (٢٦٩٩).

قال المباركفوري: (من سَتَر مسلمًا، أي: بَدَنه أو عيبه بعدم الغيبة له، والذَّبِّ عن معائبه، وهذا بالنِّسبة إلى من ليس معروفًا بالفساد، وإلَّا فيُستحب أن تُرْفع قصَّته إلى الوالي، فإذا [رآه] في معصية، فينكرها بحسب القدرة، وإن عَجز، يرفعها إلى الحاكم إذا لم يترتَّب عليه مفسدة)[١].

- وعن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عَورَاتهم، فإنَّه من اتَّبع عَوراتهم يتَّبع الله عَوْرته، ومن يتَّبع الله عَوْرته يفضحه في بيته))[٢].

(فاسْتُر إخوانك، فإنَّه لا طاقة لك بحرب الله، القادر على كشف عيوبك، وفضح ذنوبك، التي لا يعلمها النَّاس عنك، وألْجِم لسانك عن الخوض في الأعراض، وتتبُّع العَورات، وإفساد صِيت إخوانك، وإساءة سُمْعَتهم)[٣].

- وفي قصَّة ماعز بن مالك الأسلمي، عندما جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف على نفسه بالزِّنى، وسأله أن يقيم عليه الحدَّ ليطهِّره، فأمر النَّبي صلى الله عليه وسلم برجمه[٤]. فإنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم لم يسأله

---

(١) ((تحفة الأحوذي)) للمباركفوري (٤/٥٧٤).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٨٠)، وأحمد (٤/٤٢٠) (١٩٧٩١)، وأبو يعلى (١٣/٤١٩) (٧٤٢٣)، والبيهقي (١٠/٢٤٧) (٢١٦٩٦). وجوَّد إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢/٢٥٠)، وقال الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٨٨٠): حسن صحيح.

(٣) ((هذه أخلاقنا)) لمحمود الخزندار (ص ٤٥٣).

(٤) حديث مشهور في ((صحيح البخاري)) (٧/٤٦) و((صحيح مسلم)) (٣/١٣٢٨) عن جابر ابن عبد الله، و((صحيح البخاري)) (٧/٤٦) عن أبي هريرة، و((صحيح مسلم)) (٣/١٣٢٠) عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنهم جميعًا-.

مع من زنيت، وكذلك المرأة الغامديَّة[١]، عندما أقرَّت على نفسها، لم يسألها النَّبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

- وفي إحدى روايات حديث ماعز، أنَّه جاء إلى أبي بكر الصِّديق، فقال له: ((إنَّ الآخر زنى -يريد نفسه- فقال له أبو بكر: هل ذكرت هذا لأحد غيري؟ فقال: لا. فقال له أبو بكر: فتُب إلى الله، واسْتَتِر بسِتر الله؛ فإنَّ الله يقبل التَّوبة عن عباده. فلم تُقْرِره نفسه، حتَّى أتى عمر بن الخطَّاب، فقال له مثل ما قال لأبي بكر، فقال له عمر مثل ما قال له أبو بكر. فلم تُقْرِره نفسه حتَّى جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: إنَّ الآخر زنى. فقال سعيد: فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرَّات، كلُّ ذلك يُعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتَّى إذا أكثر عليه، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله فقال: أيشتكي، أم به جِنَّة؟ فقالوا: يا رسول الله، والله إنَّه لصحيح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبِكْر أم ثيِّب؟ فقالوا: بل ثيِّب، يا رسول الله، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرُجِم))[٢].

قال ابن عبد البر: (وفي هذا الحديث من الفقه: أنَّ السَّتْر أولى بالمسلم على نفسه -إذا وقَّع حدًّا من الحدود- من الاعتراف به عند السُّلطان، وذلك مع اعتقاد التَّوبة والنَّدم على الذَّنب، وتكون نيَّته ومعتقده ألَّا يعود، فهذا أولى به من

(١) صحيح مسلم (١٣٢١/٣) (١٦٩٥).
(٢) رواه مالك في ((لموطأ)) (١١٩٦/٥)، واللَّفظ له، والنَّسائي في ((السُّنن الكبرى)) (٢٨١/٤) (٧١٧٨)، والبيهقي (٢٢٨/٨) (١٧٤٥٥) من حديث سعيد بن المسيب. قال ابن حزم في ((المحلَّى)) (١٤٦/١١)، وابن حجر في ((فتح الباري)) (١٢٥/١٢): مرسل. وقال ابن عبد البر في ((الاستذكار)) (٤٧٠/٦): رُوي متَّصلًا من وجوه.

الاعتراف، فإنَّ الله يقبل التَّوبة عن عباده، ويحبُّ التَّوَّابين)[١].

- وفي رواية: ((أنَّ رجلًا اسمه هَزَّال، هو الذي أشار على ماعز أن يأتي النَّبي صلى الله عليه وسلم فيخبره، فقال له النَّبي صلى الله عليه وسلم يا هَزَّال، لو سَتَرْته بردائك، لكان خيرًا لك))[٢].

قال أبو الوليد الباجي: (وقوله صلى الله عليه وسلم لهَزَّال ((يا هَزَّال، لو سَتَرْته بردائك، لكان خيرًا لك)). هَزَّال هذا هو: هَزَّال بن رئاب بن زيد بن كليب الأسلمي. ويريد بقوله: ((لو سَتَرْته بردائك، لكان خيرًا لك)). يريد: ممَّا أظهرته من إظهار أمره، وإخبار النَّبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر به، فكان ستْره بأن يأمره بالتَّوبة، وكتمان خطيئته، وإنَّما ذكر فيه الرِّداء على وجه المبالغة، بمعنى أنَّه لو لم تجد السَّبيل إلى سِتْره إلَّا بأن تَسْتُره بردائك ممَّن يشهد عليه، لكان أفضل ممَّا أتاه، وتسبَّب إلى إقامة الحدِّ عليه، والله أعلم وأحكم)[٣].

وقال ابن الأثير: (ومنه حديث ماعز ((ألَا سَتَرْته بثوبك يا هَزَّال)). إنما قال ذلك حبًّا لإخفاء الفضيحة، وكراهيةً لإشاعتها)[٤].

أقوال السَّلف والعلماء في الحثِّ على السَّتْر:

- قال أبو بكر الصِّديق رضي الله عنه: (لو أخذت سارقًا لأحببت أن

---

(١) ((التمهيد)) (٢٣/١١٩).

(٢) رواه مالك في ((الموطأ)) (٥/١١٩٨)، والنَّسائي في ((السُّنن الكبرى)) (٤/٣٠٦) (٧٢٧٧). من حديث سعيد بن المسيب. قال ابن حزم في ((المحلَّى)) (١١/١٤٦)، والزَّيلعي في ((نصب الرَّاية)) (٤/٧٥): مرسل. وقال ابن عبد البر في ((التمهيد)) (٢٣/١٢٥): [مرسل] وهو يستند من طرق صحاح.

(٣) ((المنتقى شرح الموطأ)) لأبي الوليد الباجي (٧/١٣٥).

(٤) ((النِّهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٢/٣٤١).

يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ، ولو أخذت شاربًا، لأحببت أن يَسْتُره الله عزَّ وجلَّ)[١].

- وعن أبي الشَّعثاء قال: (كان شُرَحْبِيل بن السِّمْط على جيشٍ، فقال لجيشه: إنَّكم نزلتم أرضًا كثيرة النِّساء والشَّراب- يعني الخمر- فمن أصاب منكم حدًّا فليأتنا، فنطهِّره، فأتاه ناس، فبلغ ذلك عمر بن الخطَّاب، فكتب إليه: أنت- لا أمَّ لك - الذي يأمر النَّاس أن يهتكوا سِتْر الله الذي سَتَرَهم به)[٢].

- وعن المعْرُور بن سُوَيْد قال: (أُتِي عمر بامرأة راعية زنت، فقال عمر: ويح المرِّيَّة، أفسدت حَسَبَها، اذهبا بالمرِّيَّة فاجلداها، ولا تخرقا عليها جلدها، إنَّما جعل الله أربعة شهداء سترًا ستركم به دون فواحشكم، ولو شاء لجعله رجلًا صادقًا أو كاذبًا، فلا يطَّلعنَّ سِتْر الله منكم أحد)[٣].

- وعن الشَّعبي: أنَّ رجلًا أتى عمر بن الخطَّاب، قال: (إنَّ ابنة لي أصابت حدًّا، فعَمَدت إلى الشَّفْرة، فذبَحَت نفسها، فأدركتُها، وقد قطعت بعض أوداجها، فداويتها فبرأت، ثم أنَّها نَسَكت، فأقبلت على القرآن، فهي تُخْطب إليَّ، فأخبر من شأنها بالذي كان، فقال له عمر: تعمد إلى سِتْر سَتَره الله فتكشفه؟ لئن بلغني أنَّك ذكرت شيئًا من أمرها، لأجعلنَّك نَكالًا لأهل الأمصار، بل أنكِحها نكاح العفيفة المسلمة)[٤].

---

(١) رواه ابن سعد في ((الطَّبقات الكبرى)) (١٣/٥)، وابن أبي شيبة في ((المصنَّف)) (٤٧٤/٥)، وصحَّح إسناده ابن حجر في ((الإصابة)) (٥٧٥/١).

(٢) ((مصنَّف عبد الرزاق الصنعاني)) (١٩٧/٥) (٩٣٧١)، و((الزهد)) لهناد بن السري (٦٤٦/٢).

(٣) ((مصنَّف عبد الرزاق الصنعاني)) (٣٧٤/٧) (١٣٥٣٠)، و((التوبيخ والتنبيه)) لأبي الشيخ الأصبهاني (٦٥/١).

(٤) رواه عبدالرزاق في ((المصنَّف)) (٢٤٦/٦)، وهناد في ((الزهد)) (١٤٠٩)، والحارث في ((بغية الباحث)) (٥٠٧) واللَّفظ له. قال ابن كثير في ((مسند الفاروق)) (٣٩٣/١): فيه انقطاع. وقال البوصيري في ((إتحاف الخيرة المهرة)) (٢٧٢/٤): إسناده رجاله ثقات إلا أنه منقطع، فإنَّ رواية الشَّعبي عن عمر مرسلة.

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (ثلاث أحلف عليهنَّ، والرَّابعة لو حلفت لبَرَرْت: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا يتولَّى اللهَ عبدٌ في الدُّنيا فولَّاه غيره يوم القيامة، ولا يحبُّ رجل قومًا، إلا جاء معهم يوم القيامة، والرَّابعة التي لو حلفت عليها لبَرَرْت: لا يَسْتُر الله على عبد في الدُّنيا، إلَّا سَتَر عليه في الآخرة)[1].

- وعن مريم بنت طارق: (أنَّ امرأة قالت لعائشة -رضي الله عنها-: يا أمَّ المؤمنين، إنَّ كَرِيًّا أخذ بساقي[2] وأنا مُحْرِمَة، فقالت -رضي الله عنها-: حِجْرًا حِجْرًا حِجْرًا[3]، وأعرضت بوجهها، وقالت بكفِّها، وقالت: يا نساء المؤمنين، إذا أذنبت إحداكنَّ ذنبًا، فلا تخبرنَّ به النَّاس، ولتستغفر الله تعالى، ولتتب إليه؛ فإنَّ العباد يُعَيِّرُون ولا يُغَيِّرُون، والله تعالى يُغَيِّر ولا يُعَيِّر)[4].

- وعن أبي عثمان النَّهدي، قال: (إنَّ المؤمن ليُعطى كتابه في سِتْرٍ من الله تعالى، فيقرأ سيِّئاته فيتغيَّر لونه، ثمَّ يقرأ حسناته فيرجع إليه لونه، ثمَّ ينظر، وإذا سيِّئاته قد بُدِّلت حسنات، فعند ذلك يقول: ﴿هَآؤُمُ اقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩])[5].

- وقال الحسن البصري: (من كان بينه وبين أخيه سِتْر فلا يكشفه)[6].

- وعن إبراهيم بن أدهم، قال: (بلغني أنَّ عمر بن عبد العزيز قال لخالد

---

(١) رواه عبدالرزاق في ((المصنَّف)) (١١/١٩٩)، وصحَّح إسناده الألباني في ((سلسلة الأحاديث الصَّحيحة)) (١٣٨٧) وقال: رجاله ثقات رجال الشيخين.

(٢) الكري: الذي يكري دابته. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٥/٢١٩).

(٣) حجرا أي سترا وبراءة من هذا الأمر. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٤/١٦٧).

(٤) ((مكارم الأخلاق)) للخرائطي (١/١٥٣) (٤٥١).

(٥) ((الزهد والرقائق)) لابن المبارك (١/٤٩٧) (١٤١٥).

(٦) ((مكارم الأخلاق)) للخرائطي (١/١٤٩) (٤٤١).

ابن صفوان: عِظْني وأوجز. قال: فقال خالد: يا أمير المؤمنين، إنَّ أقوامًا غرَّهم سِتْر الله عزَّ وجلَّ، وفتنهم حُسْن الثَّناء، فلا يغلبنَّ جهل غيرك بك علمك بنفسك، أعاذنا الله وإياك أن نكون بالسِّتْر مغرورين، وبثناء النَّاس مسرورين، وعمَّا افترض الله متخلِّفين مقصرين، وإلى الأهواء مائلين. قال: فبكى، ثم قال: أعاذنا الله وإياك من اتِّباع الهوى)[١].

- وقال العلاء بن بدر: (لا يعذِّب الله عزَّ وجلَّ قومًا يسترون الذُّنوب)[٢].

- وعن محمود بن آدم قال: سمعت سفيان بن عيينة، يقول: (لولا ستْر الله عزَّ وجلَّ ما جالسَنا أحدٌ)[٣].

- وعن شُبَيْل بن عوف الأَحْمَسِي، قال: (كان يقال: من سمع بفاحشة، فأفشاها، كان فيها كالذي بدأها)[٤].

- وعن عبد الله بن المبارك، قال: (كان الرَّجل إذا رأى من أخيه ما يكره، أمره في سِتْر، ونهاه في سِتْر، فيُؤجر في سِتْره، ويُؤجر في نهيه، فأمَّا اليوم فإذا رأى أحدٌ من أحدٍ ما يكره، استغضب أخاه، وهتك سِتْره)[٥].

- وقال الفضيل بن عياض: (المؤمن يَسْتر وينصح، والفاجر يهتِك ويُعيِّر)[٦].

- وعن عبيد الله بن عبد الكريم الجِيْلِي، قال: (من رأيته يطلب العثرات على النَّاس، فاعلم أنَّه معيوب، ومن ذكر عَورات المؤمنين، فقد هتك سِتْر الله

(١) ((الزهد الكبير)) للبيهقي (١/١٨٧) (٤٤٩).
(٢) ((مكارم الأخلاق)) للخرائطي (١/١٥٣) (٤٥٠).
(٣) ((شعب الإيمان)) للبيهقي (٦/٢٩٠) (٤٢٠٣).
(٤) ((الزهد)) لوكيع (١/٧٦٨) (٤٥٠).
(٥) ((روضة العقلاء)) لابن حبان البستي (١/١٩٦).
(٦) ((جامع العلوم والحكم)) لابن رجب (١/٢٢٥).

المرخَى على عباده)[١].

- وقال ابن رجب: (رُوي عن بعض السَّلف أنَّه قال: أدركت قومًا لم يكن لهم عيوب، فذكروا عيوب النَّاس، فذكر النَّاس عيوبهم. وأدركت أقوامًا، كانت لهم عيوب فكَفُّوا عن عيوب النَّاس فنُسيت عيوبهم)[٢].

قال ابن القيِّم: (وأمَّا اكتفاؤه في القتل بشاهدين دون الزِّنا، ففي غاية الحِكْمة والمصلحة؛ فإنَّ الشَّارع احتاط للقصاص والدِّماء، واحتاط لحدِّ الزِّنا، فلو لم يقبل في القتل إلَّا أربعة لضاعت الدِّماء، وتواثب العادون، وتجرَّءوا على القتل؛ وأمَّا الزِّنا فإنَّه بَالَغَ في سِتْره، كما قدَّر الله سِتْره، فاجتمع على ستْره شرع الله وقدره، فلم يقبل فيه إلَّا أربعة يصِفُون الفِعْل وصف مشاهدة، ينتفي معها الاحتمال؛ وكذلك في الإقرار، لم يكتف بأقلَّ من أربع مرَّات، حرصًا على سِتْر ما قدَّر الله ستْره، وكَرِه إظهاره، والتَّكلُّم به، وتوعَّد من يحبُّ إشاعته في المؤمنين بالعذاب الأليم، في الدُّنيا والآخرة)[٣].

وقال أيضًا: (للعبد سِتْرٌ بينه وبين الله، وسِتْرٌ بينه وبين النَّاس، فمن هتك السِّتْر الذي بينه وبين الله، هتك الله السِّتْر الذي بينه وبين النَّاس)[٤].

وقال أيضًا: (ومن النَّاس من طبعه طبع خنزير: يمرُّ بالطَّيِّبات فلا يلوي عليها، فإذا قام الإنسان عن رجيعه قَمَّه[٥]، وهكذا كثير من النَّاس، يسمع منك، ويرى من المحاسن أضعاف المساوئ، فلا يحفظها، ولا ينقلها،

(١) ((التوبيخ والتنبيه)) لأبي الشيخ الأصبهاني (١٠١/١) (٢٣٢).
(٢) ((جامع العلوم والحكم)) (٢٩١/٢).
(٣) ((إعلام الموقعين عن رب العالمين)) (٥٠/٢).
(٤) ((الفوائد)) (٣١/١).
(٥) قم الشيء قما: كنسه، وقم الرجلُ: أكل ما على الخوان. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٤٩٣/١٢)، ((القاموس المحيط)) للفيروزآبادي (١١٥١)..

ولا تناسبه، فإذا رأى سقطة، أو كلمة عَوْراء، وجد بغيته، وما يناسبها، فجعلها فاكهته ونقله)[١].

وقال أبو البركات الغزي العامري في كلامه عن آداب العِشْرة بين المسلمين: (ومنها: الاجتهاد في سِتْر عَورَات الإخوان وقبائحهم، وإظهار مناقبهم، وكونهم يدًا واحدةً في جميع الأوقات)[٢].

فوائد السَّتْرِ:

١- نشر الحبِّ والألفة بين المؤمنين.

٢- أنه يعين العاصي على أن يتدارك نفسه، ويتوب إلى الله توبةً نصوحًا، وبالعكس فلو فُضِح وشُهِّر به، لكان في هذا إعانة للشَّيطان عليه، حيث يدفعه إلى مزيد من المعاصي والآثام.

٣- أنَّ فَضْح النَّاس -وخاصة أهل الفضل منهم إن بدت منهم زلَّة أو هفوة- قد يجرِّئ كثيرًا من عوام النَّاس على المعاصي.

٤- أنَّ نفس السَّاتر تزكو، ويرضى عنه الله، ويَسْتُره في الدُّنيا والآخرة.

متى ينبغي السَّتْر على المسلم؟

ينبغي على المسلم أن يَسْتر إخوانه المسلمين، وخاصَّةً إذا كانوا من ذوي الهيئات، وممَّن ليسوا معروفين بالأذى والفساد، أمَّا إذا كانوا معروفين بالفساد، ويجاهرون به، فلا يَسْتُر عليهم. يقول ابن تيمية: (فمن أظهر المنكر، وجب عليه الإنكار، وأن يُهْجَر ويُذَمَّ على ذلك. فهذا معنى قولهم: من ألقى جلباب

---

(١) ((مدارج السالكين)) (١/٤٠٦).
(٢) ((آداب العشرة)) لأبي البركات الغزي العامري (١/٥٣).

الحياء، فلا غيبة له. بخلاف من كان مُسْتَتِرًا بذنبه، مُسْتَخْفيًا، فإنَّ هذا يُسْتَر عليه؛ لكن يُنْصَح سِرًّا، ويَهْجُره من عرف حاله، حتَّى يتوب، ويَذْكر أمره على وجه النَّصيحة)[١].

وقال النَّووي: (وأمَّا السَّتر المندوب إليه هنا، فالمراد به: السَّتر على ذوي الهيئات ونحوهم، ممَّن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد، فأمَّا المعروف بذلك، فيُسْتَحبُّ أن لا يُسْتَر عليه، بل تُرْفَع قضيته إلى وليِّ الأمر، إن لم يخف من ذلك مفسدة؛ لأنَّ السِّتر على هذا يُطْمِعه في الإيذاء والفساد وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره على مثل فعله. هذا كلُّه في سِتْر معصية وقعت وانقضت، أمَّا معصية رآه عليها، وهو بعد متلبِّسٌ بها، فتجب المبادرة بإنكارها عليه، ومنعه منها على من قَدر على ذلك، ولا يحلُّ تأخيرها، فإن عجز، لزمه رفعها إلى ولي الأمر، إذا لم تترتَّب على ذلك مفسدة، وأمَّا جَرْح الرُّواة والشُّهود والأُمناء على الصَّدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم، فيجب جَرْحُهم عند الحاجة، ولا يحلُّ السِّتر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرَّمة، بل من النَّصيحة الواجبة، وهذا مُجْمَعٌ عليه، قال العلماء في القسم الأوَّل -الذي يُسْتَر فيه-: هذا السِّتر مندوب، فلو رفعه إلى السُّلطان ونحوه، لم يأثم بالإجماع، لكن هذا خلاف الأولى، وقد يكون في بعض صوره ما هو مكروه، والله أعلم)[٢].

وقال ابن رجب: (واعلم أنَّ النَّاس على ضربين:

أحدهما: من كان مَسْتُورًا، لا يُعْرَف بشيء من المعاصي، فإذا وقعت منه هَفْوة، أو زلَّة، فإنَّه لا يجوز كشفها، ولا هتكها، ولا التَّحدث بها؛ لأنَّ

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) (٢٨/٢٢٠).
(٢) ((شرح النَّووي على مسلم)) (١٦/١٣٥).

ذلك غيبة محرَّمة، وهذا هو الذي وردت فيه النصوص، وفي ذلك قد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [النُّور: ١٩]. والمراد: إشاعة الفاحشة على المؤمن المسْتَتِر فيما وقع منه، أو اتُّهم به وهو بريء منه، كما في قصَّة الإفك. قال بعض الوزراء الصَّالحين لبعض من يأمر بالمعروف: اجتهد أن تَسْتُر العصاة، فإنَّ ظهور معاصيهم، عيب في أهل الإسلام، وأولى الأمور ستْر العيوب، ومثل هذا لو جاء تائبًا نادمًا وأقرَّ بحدٍّ، ولم يفسِّره، لم يُسْتَفْسَر، بل يؤمر بأن يرجع ويَسْتر نفسه، كما أمر النَّبي صلى الله عليه وسلم ماعزًا والغامديَّة، وكما لم يَسْتَفْسر الذي قال: أصبت حدًّا، فأقمه علي. ومثل هذا لو أُخِذ بجريمته، ولم يبلغ الإمام، فإنَّه يُشْفَع له، حتَّى لا يبلغ الإمام.

والثَّاني: من كان مُشْتَهِرًا بالمعاصي، معلنًا بها، لا يبالي بما ارتكب منها، ولا بما قيل له، فهذا هو الفاجر المعْلن، وليس له غيبة، كما نصَّ على ذلك الحسن البصري وغيره، ومثل هذا لا بأس بالبحث عن أمره؛ لتقام عليه الحدود. صرَّح بذلك بعض أصحابنا، واستدل بقول النَّبي صلى الله عليه وسلم: ((واغد يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت، فارجمها))[١]. ومثل هذا لا يُشْفَع له إذا أُخِذ، ولو لم يبلغ السُّلطان، بل يُتْرك حتَّى يُقَام عليه الحدُّ، لينكفَّ شرُّه، ويَرْتَدع به أمثاله. قال مالك: من لم يُعرف منه أذى للناس، وإنَّما كانت منه زلَّة، فلا بأس أن يُشْفع له، ما لم يبلغ الإمام، وأمَّا من عُرِف بشَرٍّ أو فساد، فلا أحبُّ أن يشفع له أحد، ولكن يُتْرك حتَّى يُقَام عليه الحدُّ. حكاه ابن المنذر وغيره.

---

(١) رواه البخاري (٦٨٢٧، ٦٨٢٨)، ومسلم (١٦٩٧، ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد الجهني -رضي الله عنهما-.

وكره الإمام أحمد رَفْع الفُسَّاق إلى السُّلطان بكلِّ حال، وإنَّما كرهه؛ لأنَّهم غالبًا لا يقيمون الحدود على وجهها، ولهذا قال: إن عَلِمت أنَّه يقيم عليه الحدَّ فارفعه، ثمَّ ذكر أنَّهم ضربوا رجلًا، فمات، يعني: أنَّه لم يكن قَتْلُه جائزًا.

ولو تاب أحد من الضَّرب الأوَّل، كان الأفضل له أن يتوب فيما بينه وبين الله تعالى، ويَسْتُر على نفسه.

وأما الضَّرب الثَّاني، فقيل: إنَّه كذلك، وقيل: بل الأولى له أن يأتي الإمام، ويقرَّ على نفسه بما يوجب الحدَّ، حتَّى يطهِّره)[١].

السَّتْرُ لا يعني ترك إنكار المنكر:

لا يعني السَّتْر ترك الإنكار على من تَسْتُره فيما بينك وبينه، وإذا أنكرت عليه، ونصحته، فلم ينتهِ عن قبيح فعله، ثمَّ جَاهَر به جازت الشَّهاده عليه بذلك، كما ذكر ذلك العلماء، وقد فرَّق ابن حجر بين مَحَلِّ السَّتر والإنكار، قال: (والذي يظهر أنَّ السَّتر محلُّه في معصية قد انقضت، والإنكار في معصية قد حَصل التَّلبُّس بها، فيجب الإنكار عليه، وإلَّا رفعه إلى الحاكم، وليس من الغيبة المحرَّمة، بل من النَّصيحة الواجبة)[٢] [٣].

وينبغي أن تكون النَّصيحة سرًّا ولا تكون أمام الملأ.

يقول الشافعي في ذلك:

تَعَمَّدني بنصحك في انفرادي وجنِّبني النَّصيحة في الجماعهْ

فإنَّ النُّصح بين النَّاس نوع من التَّوبيخ لا أرضى استماعه

(١) ((جامع العلوم والحكم)) (٢/٢٩٢ - ٢٩٣).

(٢) ((فتح الباري)) لابن حجر (٥/٩٧).

(٣) ((هذه أخلاقنا)) لمحمود الخزندار (ص ٤٥٢)، بتصرف.

وإن خالفتني وعصيت قولي فلا تجزع إذا لم تُعط طاعةْ[١]

صور السَّتْرِ:

١- ستر المسلم نفسه:

(المسلم عليه أن يستر نفسه، فلا يُشْهر خطاياه أمام الخَلْق، ولا يذكر زلَّاته أمام النَّاس، ولو كانوا أصدقاءه، إلَّا على وجه السُّؤال والفتيا، دون تحديد أنَّه الفاعل، سيَّما عند من يعرفه)[٢].

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((كلُّ أمَّتي معافى إلا المجَاهرين، وإنَّ من المجَاهرة أن يعمل الرَّجل بالليل عملًا، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد بات يَسْتُره ربُّه، ويصبح يكشف سِتْر الله عنه))[٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: ((أيُّها النَّاس قد آن لكم أن تنتهوا عن حدود الله، من أصاب من هذه القاذورات شيئًا، فليَسْتَتر بسِتْر الله))[٤].

٢- ستْر المسلم لإخوانه المسلمين:

وكما يَسْتُر المسلم نفسه، عليه أن يَسْتُر إخوانه المسلمين، إذا رأى منهم

---

(١) ((ديوان الشافعي)) (ص ٨٥).
(٢) ((خُلُق المؤمن)) لمصطفى مراد (ص ١١٣).
(٣) رواه البخاري (٦٠٦٩) واللَّفظ له، ومسلم (٢٩٩٠).
(٤) رواه مالك في ((الموطأ)) (٥/١٢٠٥)، والبيهقي (٨/٣٢٦) (١٨٠٢٩) من حديث زيد بن أسلم رضي الله عنه. قال الشافعي في ((الأم)) (٧/٣٦٧): منقطع، ليس مما يثبت به هو نفسه حجة. وقال البيهقي في ((السُّنن الصغير)) (٣/٣٤٥): مرسل، وقد أُسند آخره عن ابن عمر مرفوعًا. وقال ابن عبد البر في ((الاستذكار)) (٦/٥٠٤)، وابن الملقن في ((خلاصة البدر المنير)) (٢/٣٠٣): مرسل.

عيبًا أو خطأً، قال صلى الله عليه وسلم: ((من نفَّس عن مؤمن كُرْبةً من كُرَب الدُّنيا، نفَّس الله عنه كُرْبةً من كُرَب الآخرة، ومن سَتَر على مسلم، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة، والله في عون العبد، ما كان العبد في عون أخيه))[1].

٣- ستْر الميِّت:

إذا غسَّل المسلم ميِّتًا، فرأى فيه شيئًا معيبًا، فعليه أن يَسْتره، ويكتم أمره، قال صلى الله عليه وسلم: ((من غسَّل ميِّتًا، فكتم، غَفَر الله له أربعين مرَّةً))[2].

الوسائل المعينة على اكتساب صفة السَّتْر:

١- أن تعلم فضل السَّتْر، وأنَّ من سَتَر أخاه المسلم، سَتَره الله في الدُّنيا والآخرة.

٢- أن تستشعر معنى أخوة الإيمان، فقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾. [الحجرات: ١٠]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مثل المؤمنين في تَوَادِّهِم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عُضْو، تداعى له سائر الجسد بالسَّهر والحمَّى))[3].

٣- أن تضع نفسك مكان أخيك الذي أخطأ وزلَّ، فهل تحبُّ أن تُفْضَح أم تُسْتَر؟ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبراني (٣١٥/١) (٩٢٩)، والبيهقي (٣٩٥/٣) (٦٩٠٠) واللَّفظ له.
قال المنذري في ((التَّرغيب والتَّرهيب)) (٢٥٧/٤): رواته محتج بهم في الصحيح. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)): رجاله رجال الصحيح. وقال ابن حجر في ((الفتوحات الربانية)) (١٦٣/٤): حسن غريب. وصحَّحه الألباني في ((صحيح التَّرغيب والترهيب)) (٣٤٩٢).

(٣) رواه البخاري (٦٠١١)، ومسلم (٢٥٨٦) واللَّفظ له.

قال: ((لا يؤمن أحدكم، حتَّى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه))[١]، وعن عكرمة أنَّ ابن عبَّاس، وعمَّارًا، والزُّبير -رضي الله عنهم جميعًا- أخذوا سارقًا، فخلوا سبيله، فقلت لابن عبَّاس: (بئسما صنعتم حين خلَّيتم سبيله، قال: لا أمَّ لك، أما لو كنت أنت، لسرَّك أن يُخَلَّى سبيلك)[٢].

٤- أن ينشغل العبد بإصلاح نفسه: قال الحسن البصري: (يا ابن آدم، لن تنال حقيقة الإيمان حتَّى لا تعيب النَّاس بعيب هو فيك، وتبدأ بذلك العيب من نفسك، فتصلحه، فما تصلح عيبًا إلَّا ترى عيبًا آخر، فيكون شغلك في خاصَّة نفسك). وقيل لربيع بن خُثَيْم: ما نراك تعيب أحدًا، ولا تذمُّه! فقال: ما أنا على نفسي براضٍ، فأتفرَّغ من عيبها إلى غيرها)[٣].

السِّتْرُ في واحة الشِّعر:

قال ثعلب:

ثلاثُ خصالٍ للصَّديقِ جعلتُها ... مُضَارِعَةً للصَّومِ والصَّلواتِ

مواساتُه والصَّفحُ عن عثراتِه ... وتركُ ابتذالِ السِّرِّ في الخلواتِ[٤]

وقيل:

إذا شئتَ أن تحيا ودينُك سالمٌ ... وحظُّك موفورٌ وعرضُك صَيِّنُ

(١) رواه البخاري (١٣) واللَّفظ له، ومسلم (٤٥).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في ((المصنَّف)) (٢٨٠٨٤)، وصحح إسناده ابن حجر في ((فتح الباري)) (٩٠/١٢).

(٣) ((موارد الظمآن)) لعبد العزيز السلمان (٣٧٧/١).

(٤) ((آداب العشرة)) لبدر الدين الغزي (٥٣/١).

لسانُك لا تذكرْ به عورةَ امرئٍ فعندك عَوراتٌ وللنَّاسِ ألسنُ
وعينُك إن أبدتْ إليك معايبًا لقومٍ فقلْ: يا عينُ للنَّاسِ أعينُ
وصاحبْ بمعروفٍ وجانبْ مَن اعتدَى وفارقْ ولكن بالتي هي أحسنُ[١]

وقال الشَّاعر:

إذا المرءُ لم يلبسْ ثيابًا مِن التُّقَى تقلَّبَ عريانًا وإن كان كاسيَا
وخيرُ لباسِ المرءِ طاعةُ ربِّه ولا خيرَ فيمَن كان للهِ عاصيَا[٢]

وقال أحمد شوقي:

ومن لم يُقِمْ سِتْرًا على غيرِه يعِشْ مُسْتَباحَ العرضِ مُنْهَتك السِّتر[٣]

وقيل:

شرُّ الورَى مَن بعيبِ النَّاسِ مُشْتَغلٌ مثلَ الذُّبابِ يراعي موضعَ العللِ[٤]

وقال ابن الأعرابي:

إذا المرءُ وفى الأربعين ولم يكنْ له دونَ ما يأتي حياءٌ ولا سِتْرُ
فدعْه ولا تَنَفَسْ عليه الذي أتى ولو مد أسباب الحياة له العمر[٥]

وقال الشَّاعر:

إذا أنت عِبْتَ النَّاس عابوا وأكثروا عليك وأبدوا منك ما كان يُسْتَرُ
وقد قال في بعض الأقاويل قائل له منطق فيه لسان محبر

---

(١) ((شذرات الذهب في أخبار من ذهب)) لابن العماد (٥/٣٢٥).
(٢) ((تفسير القرطبي)) (٧/١٨٤).
(٣) ((الأعمال الشعرية الكاملة)) لأحمد شوقي. المجلد الأول (٢/١٢٧).
(٤) ((موارد الظمآن لدروس الزمان)) لعبد العزيز السلمان (١/٣٧٧).
(٥) ((تاريخ دمشق)) لابن عساكر (١٠/ ٤٧).

إذا ما ذكرتَ النَّاسَ فاتركْ عيوبَهم فلا عيبَ إلا دون ما فيك يُذْكَرُ
فإن عِبْتَ قومًا بالذي ليس فيهم فذاك عندَ الله والنَّاسِ أكبرُ
وإن عِبْتَ قومًا بالذي فيك مثله فكيف يَعِيب العُورَ من هو أعورُ(١)



(١) ((مجمع الحكم والأمثال)) لأحمد قبش (ص ٣٧١).



السَّكِينَة

السَّكِينَة

معنى السَّكِينَة لغةً واصطلاحًا:

- **معنى السَّكِينَة لغةً:**

أصل هذه المادة يدلُّ على خلاف الاضطراب والحركة.

فالسُّكُونُ ضدُّ الحركة، يقال: سَكَنَ الشَّيء يَسْكُنُ سُكونًا، إذا ذهبت حركته، وكلُّ ما هَدَأَ فقد سَكَن، كالرِّيح والحَرِّ والبرد ونحو ذلك، وسَكَنَ الرَّجل سكت.

والسكينة: الطمأنينة والاستقرار والرزانة والوقار[1].

- **معنى السَّكِينَة اصطلاحًا:**

قال ابن القيِّم: (هي الطُّمَأنِينة والوَقَار والسُّكون، الذي ينزِّله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدَّة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوَّة اليقين والثَّبات)[2].

وقال الجرجاني: (السَّكِينَة: ما يجده القلب من الطُّمَأنِينة عند تنزُّل الغيب، وهي نور في القلب يَسْكُن إلى شاهده ويطمئن)[3].

الفرق بين السَّكِينَة والوَقَار:

السَّكِينَة والوَقَار كلمتان مترادفتان، إلَّا أنَّ هناك فرقًا طفيفًا بينهما، قال أبو هلال العسكري: (إنَّ السَّكِينَة مُفَارَقة الاضطراب عند الغضب والخوف، وأكثر

---

(١) انظر: ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٨٨)، ((الصِّحاح)) للجوهري (١/٣٢٣)، ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/٢١١)، ((المعجم الوسيط)) (١/٤٤٠).

(٢) انظر: ((مدارج السالكين)) (٢/٥٠٣).

(٣) انظر: ((التعريفات)) (١/١٥٩).

ما جاء في الخوف؛ ألَا ترى قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ [التَّوبة: ٤٠] وقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦]، ويُضَاف إلى القلب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤] فيكون هيبة وغير هيبة، والوَقَار لا يكون إلا هيبة.

المشهور في الفرق بينهما: أنَّ السَّكِينَة هيئةٌ بدنيَّةٌ تنشأ من اطمئنان الأعضاء.

والوَقَار: هيئةٌ نفسانيَّةٌ تنشأ من ثبات القلب، ذكر ذلك صاحب ((التنقيح))، ونقله صاحب ((مجمع البحرين)) عن بعض المحقِّقين.

ولا يخفى أنَّه لو عُكِس الفرق، لكان أصوب، وأحقَّ بأن تكون السَّكِينَة هيئةً نفسانيَّةً، والوَقَار: هيئةٌ بدنيَّةٌ[1].

التَّرغيب في السَّكِينَة:

أولًا: في القرآن الكريم

- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التَّوبة: ٢٦].

أي: أنزل عليهم ما يُسكِّنهم ويُذهب خوفهم، حتَّى اجترؤوا على قتال المشركين بعد أن ولَّوا[2].

- قوله تعالى: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾ [التَّوبة: ٤٠].

(١) ((الفروق اللغوية)) (١/٢٨١).
(٢) ((تفسير القرطبي)) (٨/١٠١).

قال أبو جعفر: (يقول تعالى ذكره: فأنزل الله طمأنينته وسكونه على رسوله، وقد قيل: على أبي بكر، ﴿وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾، يقول: وقوَّاه بجنود من عنده من الملائكة، لم تروها أنتم ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، وهي كلمة الشِّرك ﴿ٱلسُّفْلَىٰ﴾، لأنَّها قُهِرت وأُذِلَّت، وأبطلها الله تعالى، ومَحَق أهلها، وكلُّ مقهور ومغلوب فهو أسفل من الغالب، والغالب هو الأعلى. ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا﴾، يقول: ودين الله وتوحيده وقول لا إله إلَّا الله، وهي كلمته (العُليا)، على الشِّرك وأهله، الغالبة)[1].

- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤].

يقول تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أي: جعل الطُّمَأنينة. قاله ابن عبَّاس، وعنه: الرَّحمة. وقال قتادة: الوَقَار في قلوب المؤمنين. وهم الصَّحابة يوم الحُدَيبِية، الذين استجابوا لله ولرسوله، وانقادوا لحكم الله ورسوله، فلمَّا اطمأنَّت قلوبهم لذلك، واستقرَّت، زادهم إيمانًا مع إيمانهم[2].

- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من الصِّدق والوفاء، والسَّمع والطَّاعة، ﴿قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾: وهي الطُّمَأنينة، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾: وهو ما أجْرَى الله على أيديهم من الصُّلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل

(١) ((جامع البيان)) للطبري (٣٢٦/٥).
(٢) ((تفسير ابن كثير)) (٣٢٨/٧).

بذلك من الخير العام المستمر المتَّصل بفتح خيبر، وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العزِّ والنَّصر والرِّفعة في الدُّنيا والآخرة؛ ولهذا قال: ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ١٨][(١)].

- قوله تعالى: ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الفتح: ٢٦].

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ أي الطُّمَأنينة والوَقَار.

﴿عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقيل: ثبَّتهم على الرِّضا والتَّسليم، ولم يدخل قلوبهم ما أدْخَل قلوب أولئك من الحَمِيَّة[(٢)].

ثانيًا: في السُّنَّة النبوية

- عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إذا أُقيمت الصَّلاة، فلا تأتوها تسعون، وأتوها تمشون، وعليكم السَّكِينَة، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتمُّوا))[(٣)].

(فيه: النَّدب الأكيد إلى إتيان الصَّلاة بسَكِينة ووَقَار، والنَّهي عن إتيانها سعيًا، سواءً فيه صلاة الجمعة وغيرها، سواءً خاف فَوْت تكبيرة الإحرام أم لا. والمراد بقول الله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] الذَّهاب، يقال: سَعَيْت في كذا أو إلى كذا، إذا ذهبت إليه، وعملت فيه)[(٤)].

(١) ((تفسير ابن كثير)) (٣٣٦/٧).
(٢) ((تفسير القرطبي)) (٢٨٨/١٦).
(٣) رواه البخاري (٩٠٨)، ومسلم (٦٠٢).
(٤) ((شرح النَّووي على مسلم)) (٣٧٨/٢).

- وعن ابن عبَّاس أنَّهُ دفعَ معَ النبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يومَ عرَفَةَ ، فسمعَ النبيُّ صلَّى الله عليهِ وسلَّمَ وراءَهُ زَجْرًا شديدًا، وضربًا وصوتًا للإبِلِ، فأشَارَ بسَوطِهِ إليهِمْ، وقالَ: أيُّها الناسُ، عليكم بالسَّكِينَةِ)[١].

(علَيْكُمْ بالسَّكِينَةِ) أي: لازموا الطُّمَأنينة والرِّفق، وعدم المزَاحمة في السَّير.

- وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: ((ما رأيت أحدًا كان أشبه سَمْتًا وهديًا ودلًّا. وفي رواية: (حديثًا، وكلامًا برسول الله صلى الله عليه وسلم من فاطمة، كانت إذا دخلت عليه، قام إليها، فأخذ بيدها فقبَّلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها، قامت إليه، فأخذت بيده فقبَّلته، وأجلسته في مجلسها))[٢].

قال القاري: (...((سمتًا)). أي: هيئة وطريقة كانت عليها من السَّكِينَة والوَقَار. قال الشَّارح: السَّمت في الأصل القَصْد، والمراد به: هيئة أهل الخير والتَّزيي بزيِّ الصَّالحين. ((وهديًا)) أي: سيرة وطريقة. يقال: فلان حَسَن الهدي، أي: حَسَن المذهب في الأمور كلِّها. ((ودلًّا)): بفتح دال وتشديد لام، فسَّره الرَّاغب بحُسْن الشَّمائل، وأصله من: دلِّ المرأة، وهو شَكْلها، وما يُسْتَحْسَن منها. والكلُّ ألفاظ متقاربة. قال التوربشتي: كأنَّها أشارت بالسَّمت

---

(١) رواه البخاري (١٦٧١).

(٢) رواه أبو داود (٥٢١٧)، والترِّمذي (٣٨٧٢)، والنَّسائي في ((السُّنن الكبرى)) (٩٦/٥) (٨٣٦٩)، وابن حبان (٤٠٣/١٥) (٦٩٥٣)، والطبراني في ((المعجم الأوسط)) (٢٤٢/٤) (٤٠٨٩)، والحاكم (١٦٧/٣)، والبيهقي (١٠١/٧) (١٣٩٦٢). قال التِّرمذي: حسن غريب من هذا الوجه. وصححه النَّووي في ((الترخيص بالقيام)) (٤٢)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٥٢١٧)، وجوَّد إسناده ابن باز في ((مجموع فتاوى ابن باز)) (٩٢/٢)، وحسَّنه الوادعي في ((الصحيح المسند)) (١٥٩١).

إلى ما يُرَى على الإنسان من الخشوع والتَّواضع لله، وبالهدي: ما يتحلَّى به من السَّكِينَة والوَقَار، إلى ما يسلكه من المنهج المرضي)[١].

أقوال السَّلف والعلماء في السَّكِينَة:

- قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: (تعلَّموا العلم، وتعلَّموا للعلم السَّكِينَة والحلم)[٢].

- قال أبو محمَّد -في حديث علي-: إنَّ ابن عبَّاس -رحمه الله- قال: (ما رأيت رئيسًا مِحْرَبًا[٣] يُزَنُّ به[٤]، لرأيته يوم صفِّين، وعلى رأسه عمامة بيضاء، وكأنَّ عينيه سراجَا سليط[٥] وهو يحمش[٦] أصحابه إلى أن انتهى إليَّ وأنا في كثف[٧] فقال: معشر المسلمين استشعروا الخشية، وعَنُّوا الأصوات، وتَجَلْبَبوا السَّكينة، وأكْملُوا اللُّؤَم، وأَخِفُّوا الجُنَن، وأَقْلقُوا السُّيوف في الغُمْد[٨] قبل السَّلَّة، والحَظُوا الشَّزْر، واطْعَنُوا الشَّزْر، أو النَّتْر، أو اليَسْر)[٩].

---

(١) ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (٧/٢٩٦٩).

(٢) رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)) (٢/٢٨٧) (١٧٨٩)، ولفظه: (تعلَّموا العلم، وعلِّموه النَّاس، وتعلَّموا له الوَقَار والسَّكينة). قال البيهقي في ((المدخل إلى السُّنن الكبرى)) (٢/١٥٣): هذا هو الصَّحيح عن عمر من قوله، [وروي] مرفوعًا وهو ضعيف.

(٣) رجل محرب أي محارب لعدوه. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١/٣٠٣).

(٤) زنه بالخير زنا وأزنه: ظنه به أو اتهمه. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٣/٢٠٠).

(٥) رجل سليط أي فصيح حديد اللسان. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٧/٣٢٠).

(٦) حمش الشيء: جمعه. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٦/٢٨٨).

(٧) في كثف أي في حشد وجماعة. انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (٩/٢٩٦).

(٨) حركوها في أغمادها قبل أن تحتاجوا الى سلها ليسهل عند الحاجة إليها. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٦/٣٤١).

(٩) انظر ما رواه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٢/٤٦٠).

- وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: (كنَّا نتحدَّث أنَّ السَّكِينَة تنطق على لسان عمر وقلبه)[1].

- وقال ابن القيِّم: (السَّكِينَة إذا نزلت على القلب اطمأن بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت الوَقَار، وأنطقت اللِّسان بالصَّواب والحِكْمة، وحالت بينه وبين قول الخَنَا والفحش، واللَّغو والهجر وكلِّ باطلٍ. وفي صفة رسول الله في الكتب المتقدِّمة: إنِّي باعث نبيًّا أمِّيًّا، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صخَّابٍ في الأسواق، ولا متزيِّنٍ بالفحش، ولا قوَّالٍ للخَنَا. أسدِّده لكلِّ جميلٍ، وأَهَب له كلَّ خُلق كريم، ثمَّ أجعل السَّكِينَة لِبَاسه، والبرَّ شعاره، والتَّقوى ضميره، والحِكْمَة معقوله، والصِّدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خُلُقه، والعدل سيرته، والحقَّ شريعته، والهدي إمامه، والإسلام ملَّته، وأحمد اسمه)[2].

فوائد السَّكِينَة:

للتَّحلِّي بهذه الصِّفة فوائد وآثار طيِّبة، تخصُّ الفرد المتَحلِّي بها، وتعمُّ المجتمع من حوله.

قال ابن عثيمين: (السَّكِينَة هي: عدم الحركة الكثيرة، وعدم الطَّيش، بل يكون ساكنًا في قلبه، وفي جوارحه، وفي مقاله، ولا شكَّ أنَّ هذين الوصفين -الوَقَار والسَّكِينَة- من خير الخصال التي يمنُّ الله بها على العبد؛ لأنَّ ضدَّ ذلك: أن يكون الإنسان لا شخصيَّة له ولا هيبة له، وليس وقورًا ذا هيبة، بل

---

(١) رواه ابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (١٠٨/٤٤)، وأحمد (١٠٦/١) (٨٣٤) ولفظه: (.. وما نبعد أنَّ السَّكينة تنطق على لسان عمر رضي الله عنه)، وصحَّح إسناده أحمد شاكر في تحقيق ((المسند)) (١٤٧/٢).

(٢) ((مدارج السالكين)) لابن القيم (٥٠٤/٢).

هو مَهِين، قد وضع نفسه ونزَّلها، وكذلك السَّكِينَة ضدُّها أن يكون الإنسان كثير الحركات، كثير التَّلفت، لا يُرَى عليه أثر سَكِينة قلبه، ولا قوله ولا فعله، فإذا مَنَّ الله على العبد بذلك، فإنَّه ينال بذلك خُلُقين كريمين)[1].

ومن فوائد السكينة ما يلي:

١- السَّكِينَة رداء ينزل فيثبِّت القلوب الطَّائرة، ويهدِّئ الانفعالات الثَّائرة.

٢- أنَّ المتَحلِّي بها يمتثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ((السَّكِينَة السَّكِينَة))[2].

٣- متى نزلت على العبد السَّكِينَة: استقام، وصَلحت أحواله، وصَلح بالُه، وإذا ترحَّلت عنه السَّكِينَة، ترحَّل عنه السُّرور والأمن والدَّعة والرَّاحة وطيب العيش، فمِنْ أعظم نعم الله على عبده: تَنَزُّل السَّكِينَة عليه، ومن أعظم أسبابها: الرِّضا عنه[3].

٤- المتَحلِّي بالسَّكِينَة يخشع في صلاته.

٥- إنَّ من صفة النَّاسك السَّكِينَة؛ لغلبة التَّواضع وإتيان القناعة، ورفض الشَّهوات[4].

٦- السَّكِينَة علامة من علامات رضا الله عزَّ وجلَّ.

٧- أنَّ من ثمارها محبَّة الله للعبد، ومن ثمَّ محبَّة النَّاس له.

٨- تجعل العبد قادرًا على تحمُّل المصيبة إذا نزلت.

---

(١) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٤/٩٠).

(٢) جزء من حديث طويل رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

(٣) ((مدارج السالكين)) لابن القيِّم (٢/٢٠٧).

(٤) ((الأمل والمأمول)) للجاحظ (١/١).

٩- تجعل العبد قادرًا على امتصاص غضبه في المواقف الصَّعبة.

وغير ذلك من الفوائد العظيمة، التي يجنيها الفرد والمجتمع المسلم من هذا الخُلِق الكريم.

أقسام السَّكِينَة:

١- عامَّة: وهى التى تخصُّ عامَّة الخَلْق، وهى التي يجدها العبد عند القيام بوظائف العبوديَّة، وهي التي تورث الخشوع والخضوع، وجمعيَّة القلب على الله، بحيث يؤدِّي عبوديَّته بقلبه وبدنه قانتًا لله عزَّ وجلَّ(١).

٢- خاصَّة: وهى التي تخصُّ أتباع الرُّسل بحسب متابعتهم، وهي سَكِينة الإيمان، وهي سَكِينةٌ تُسَكِّن القلوب عن الرَّيب والشَّك، ولهذا أنزلها الله على المؤمنين في أصعب المواطن، أحوج ما كانوا إليها، ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا** ﴾ [الفتح: ٤] فذكر نعمته عليهم بالجنود الخارجة عنهم، والجنود الدَّاخلة فيهم، وهي السَّكِينَة عند القلق والاضطراب(٢).

أعلى مراتبها وأخصُّ أقسامها:

أعلى مراتب السَّكِينَة وأخصُّ أقسامها هي: سَكِينة الأنبياء، وقد ذكر ذلك ابن القيِّم وأورد لها أمثلة، فقال: ومن أمثلتها:

- السَّكِينَة التي حصلت لإبراهيم الخليل، وقد أُلْقي في المنْجَنيق مسافرًا إلى ما أَضْرَم له أعداء الله من النَّار، فللَّه تلك السَّكِينَة التي كانت في قلبه حين ذلك السَّفر.

---

(١) ((إعلام الموقعين)) لابن القيم (٤/١٥٥).

(٢) ((المصدر السابق)).

- السَّكِينَة التي حصلت لموسى، وقد غشيه فرعون وجنوده من ورائهم، والبحر أمامهم، وقد استغاث بنو إسرائيل: يا موسى إلى أين تذهب بنا؟! هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون خلفنا.

- وكذلك السَّكِينَة التي حصلت له وقت تكليم الله له نداءً ونجاءً، كلامًا حقيقةً، سمعه حقيقةً بأذنه.

- وكذلك السَّكِينَة التي حصلت له، وقد رأى العصا ثعبانًا مبينًا.

- وكذلك السَّكِينَة التي نزلت عليه، وقد رأى حبال القوم وعِصِيَّهم كأنَّها تسعى، فأوجس في نفسه خِيفةً.

- وكذلك السَّكِينَة التي حصلت لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد أشرف عليه وعلى صاحبه عدوُّهما، وهما في الغار، فلو نظر أحدهم إلى تحت قدميه لرآهما.

- وكذلك السَّكِينَة التي نزلت عليه في مواقفه العظيمة، وأعداء الله قد أحاطوا به، كيوم بدر، ويوم حُنين، ويوم الخندَّق وغيره.

فهذه السَّكِينَة أمر فوق عقول البَشَر، وهي من أعظم معجزاته عند أرباب البصائر، فإنَّ الكذَّاب -ولا سيَّما على الله- أَمْلَق ما يكون، وأخوف ما يكون، وأشدُّه اضطرابًا في مثل هذه المواطن، فلو لم يكن للرُّسل -صلوات الله وسلامه عليهم- من الآيات إلَّا هذه وحدها لكفتهم[1].

صور السَّكِينَة ودرجاتها:

قال صاحب ((المنازل)): (السَّكِينَة: اسم لثلاثة أشياء:

---

(١) ((إعلام الموقعين)) لابن القيِّم (٤/٢٠١-٢٠٢).

أوَّلها: سَكِينة بني إسرائيل التي أعطوها في التَّابوت.

السَّكِينَة الثَّانية: هي التي تَنْطِق على لسان المحدَّثين، ليست هي شيئًا يُملك، إنَّما هي شيء من لطائف صنع الحقِّ، تُلقى على لسان المحدَّث الحِكْمة، كما يُلقي الملَك الوحي على قلوب الأنبياء، وتنطق بنُكَت الحقائق مع ترويح الأسرار، وكشف الشُّبه.

السَّكِينَة الثَّالثة: هي التي نزلت على قلب النَّبي، وقلوب المؤمنين، وهي شيء يجمع قوَّةً وروحًا، يَسْكن إليه الخائف، ويتسلَّى به الحزين والضَّجِر، ويَسْكن إليه العَصِيُّ والجريء والأَبِيُّ.

وأمَّا سَكِينة الوَقَار التي نزَّلها نعتًا لأربابها: فإنَّها ضياء.

تلك السَّكِينَة الثَّالثة التي ذكرناها، وهي على ثلاث درجات:

الدَّرجة الأولى: سكينة الخشوع عند القيام للخدمة: رعاية وتعظيمًا وحضورًا.

الدَّرجة الثَّانية: السَّكِينَة عند المعاملة بمحاسبة النفوس، وملاطفة الخلق، ومراقبة الحق.

الدَّرجة الثَّالثة: السَّكِينَة التي تثبِّت الرِّضَى بالقَسْم، وتمنع من الشَّطْح الفاحش، وتوقِّف صاحبها على حدِّ الرُّتبة، والسَّكِينَة لا تَنْزل إلَّا في قلب نبيٍّ أو وليٍّ[1].

---

(١) ((منازل السائرين)) للهروي (١/٨٣-٨٥).

الوسائل المعينة على التَّخلُّق بخُلق السَّكِينَة:

١- الامتثال لقول الرَّسول صلى الله عليه وسلم ((عليكم بالسَّكِينَة))[١].

٢- مصاحبة ذوي الطَّبع الهادئ، وأصحاب السكينة فـ((المرء على دين خليله))[٢].

٣- القراءة في كتب السِّيرة النَّبويَّة.

٤- معرفة فوائد وآثار السَّكِينَة.

٥- التَّحلِّي بالصَّبر:

فالصَّبر من الفضائل الخُلقية، التي تُعَوِّد الإنسان السَّكِينَة والاطمئنان، وتكون بلسَمًا لجراحه، ودواءً لمرضه وبلائه، فالصَّابر يتلقَّى المكاره بالقبول، فيحبس نَفْسه عن السَّخط، فيتحلَّى بالسَّكِينَة والوَقَار[٣].

المواطن التي تطلب عندها السكينة:

(والمقصود أنَّ العبد محتاج إلى السَّكِينَة عند الوساوس المعترضة في أصل الإيمان؛ ليثبت قلبه ولا يزيغ، وعند الوساوس والخطرات القادحة في أعمال الإيمان؛ لئلَّا تقوى وتصير هموما، وغموما، وإرادات ينقص بها إيمانه، وعند أسباب المخاوف على اختلافها، ليثبت قلبه، ويسكن جَأْشه، وعند أسباب

(١) جزء من حديث رواه البخاري (١٦٧١)، ومسلم (١٢٨٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٣٣)، والتِّرمذي (٢٣٧٨)، وأحمد (٢/٣٣٤) (٨٣٩٨) واللَّفظ له، والحاكم (٤/١٨٨)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٧/٥٥) (٩٤٣٦). قال التِّرمذي، والبغوي في ((شرح السنة)) (٦/٤٧٠): حسن غريب. وصحَّح إسناده النَّووي ((رياض الصالحين)) (١٧٧)، وحسَّنه ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (١٥١)، والألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٨٣٣).

(٣) ((صيد الأفكار)) لحسين المهدي (٥٦٥).

الفرح؛ لئلَّا يطمح به مركبه، فيجاوز الحدَّ الذي لا يُعْبَر، فينقلب ترحًا وحزنًا، وكم ممَّن أنعم الله عليه بما يُفْرِحه، فجمح به مركب الفرح، وتجاوز الحدَّ، فانقلب ترحًا عاجلًا.

ولو أُعِين بسَكِينة تعدل فرحه، لأُرِيد به الخير، وبالله التوفيق. وعند هجوم الأسباب المؤلمة، على اختلافها: الظَّاهرة والباطنة، فما أحوجه إلى السَّكِينَة حينئذ، وما أنفعها له وأجْدَاها عليه، وأحْسَن عاقبتها.

والسَّكِينَة في هذه المواطن، علامة على الظَّفَر، وحصول المحبوب، واندِّفاع المكروه، وفقدها علامة على ضدِّ ذلك، لا يخطئ هذا ولا هذا. والله المستعان)[١].

نماذج في السَّكِينَة:

الرَّسول صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم من خُلُقِه السَّكِينَة الباعثة على الهيبة والتَّعظيم، الدَّاعية إلى التَّقديم والتَّسليم، وكان من أعظم مَهِيب في النُّفوس، حتَّى ارْتَاعت رُسُل كسرى من هيبته حين أتوه، مع ارتياضهم بصَوْلة الأكَاسِرة، ومكاثرة الملوك الجبابرة، فكان في نفوسهم أهيب، وفي أعينهم أعظم، وإن لم يتعاظم بأهبة، ولم يتطاول بسطوة، بل كان بالتَّواضع موصوفًا، وبالوِطاء معروفًا[٢].

نماذج من العلماء:

أحمد بن حنبل:

عن المروذي، قال: لم أرَ الفقير في مجلس أعزَّ منه في مجلس أحمد، كان

---

(١) ((إعلام الموقعين)) لابن القيِّم (٤/٢٠٣-٢٠٤).
(٢) انظر: ((أعلام النُّبوَّة)) للماوردي، بتصرف (١/٢٥٤).

مائلًا إليهم، مُقْصرًا عن أهل الدُّنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعَجُول، وكان كثير التَّواضع، تعلوه السَّكِينَة والوَقَار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفُتيا، لا يتكلَّم حتَّى يُسْأل، وإذا خرج إلى مسجده، لم يتصدَّر[١].

آيات السَّكِينَة:

ومقتضى السَّكِينَة هدوء النَّفس وسُكُونها. وفي ذلك يقول ابن القيِّم:

(كان شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- إذا اشتدَّت عليه الأمور قرأ آيات السَّكِينَة.

وسمعته يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه تعجز العقول عن حملها من محاربة أرواح شيطانيَّة ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوَّة، قال: فلمَّا اشتدَّ عليَّ الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرؤوا آيات السَّكِينَة. قال: ثمَّ أقلع عنِّي ذلك الحال، وجلست وما بي قَلَبَةٌ[٢].

وقال ابن القيِّم أيضًا: (قد جرَّبت -أنا أيضًا- قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب مما يرد عليه، فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته)[٣].

السَّكِينَة في واحة الشِّعر:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب يرتجز برَجَز عبد الله بن رواحة، ويقول:

اللهمَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صلَّينا

---

(١) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٢١٨/١١).

(٢) ما بي قلبة، أي علة أنقلب بها. انظر: ((فتح الباري)) لابن حجر (٣٤٥/٧).

(٣) انظر: ((مدارج السالكين)) لابن القيِّم (٥٠٢/٢).

فـأَنْـزِلَـنْ سَـكِـيـنـةً عـلـيـنـا وثـبِّـت الأقـــدام إن لاقـيـنـا

إنَّ الأعـــداءَ قـد بـغـوا عـلـيـنـا إذا أرادوا فـتـنـةً أبـيـنـا[1]

وقال ابن المبارك في مسعر بن كدام:

من كان ملتمسًا جليسًا صالحًا فليأتِ حلقةَ مِسْعرِ بنِ كِدَامِ

فيها السَّكِينَةُ والوَقَارُ، وأهلُها أهلُ العفافِ وعِلْيَةُ الأقوامِ[2]

وقال آخر:

أهلًا بقوم صالحين ذوي تُقَى خير الرجال وزَيْن ملاءِ

يسعون في طلب الحديث بعفَّة وتوقُّر وسَكِينة وحياءِ

لهم المهابة والجلالة والتقى وفضائل جلَّت عن الإحصاءِ[3]

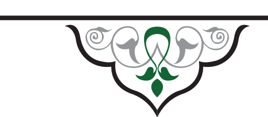
(١) ((صحيح البخاري)) (٤/٦٤) رقم (٣٠٣٤).

(٢) ((سير أعلام النبلاء)) (٧/١٧٠).

(٣) ((أخبار وتراجم أندلسية مستخرجة من معجم السفر للسلفي)) (ص ٦٩).



سَلَامَةُ الصَّدْرِ



سلامة الصَّدر

معنى سلامة الصَّدر لغةً واصطلاحًا:

• معنى السلامة لغةً:

السلامة مصدر: سلم يسلَم بسلامة، يقال: سلم المسافر أي خلص ونجا من الآفات فهو سالم. ومعظم باب هذه المادة من الصِّحة والعافية؛ فالسلامة: أن يَسْلَم الإنسان من العاهة والأذى. قال أهل العلم: الله -جلَّ ثناؤه- هو السَّلام؛ لسلامته مما يَلْحق المخلوقين من العيب والنقص والفناء، والسَّلام والسَلَامة: البرَاءة[(١)].

• معنى الصَّدر لغةً:

الصَّدر: أعلى مُقَدَّمِ كُلِّ شيءٍ، وكلُّ ما واجَهَكَ صَدْرٌ، وصَدْرُ القَناةِ أعلاها، وصَدْرُ الأمر أوَّلُه، كصَدْرُ النَّهارِ واللَّيْلِ، وصَدْرُ الشِّتاءِ والصَّيفِ، وما أشْبَه ذلك. وصَدْرُ الإنسانِ: الجزء الممتدُّ من أسفل العنق إلى فضاء الجوف، وجمعُه: صُدورٌ، وسمِّي القلب صَدْرًا لحلوله به، وفي التَّنزيل العزيز: ﴿ **قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: ٢٩][(٢)].

• معنى سلامة الصَّدر اصطلاحًا:

قال الشَّوكاني: (وأما سَلَامة الصَّدر، فالمراد به: عدم الحقد والغل والبغضاء)[(٣)].

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٩٠)، و((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/٢٨٩)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١/٢٨٦).

(٢) ((المحكم والمحيط الأعظم)) لابن سيده (٨/٢٨٢)، ((العين)) للخليل بن أحمد (٧/٩٤)، ((المعجم الوسيط)) (١/٥٠٩).

(٣) ((في السلوك الإسلامي القويم)) للشوكاني (ص ١٢١).

فسليم القلب والصَّدر هو من سَلِم وعُوفِي فؤاده من جميع أمراض القلوب وأَدْوَائها، ومن كلِّ آفة تبعده عن الله تبارك وتعالى.

الفرق بين سلامة الصَّدر والبَلَه والتَّغَفُّل:

يقول ابن القيِّم: (والفرق بين سَلَامة القلب والبَلَه والتَّغَفُّل: أنَّ سَلَامة القلب تكون من عدم إرادة الشرِّ بعد معرفته، فيَسْلَم قلبه من إرادته وقصده، لا من معرفته والعلم به، وهذا بخلاف البَلَه والغَفْلة، فإنَّها جهل وقلَّة معرفة، وهذا لا يُحْمد؛ إذ هو نقص، وإنَّما يَحْمد النَّاس من هو كذلك؛ لسَلَامتهم منه، والكمال أن يكون القلب عارفًا بتفاصيل الشَّرِّ، سليمًا من إرادته، قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: (لست بِخِبٍّ ولا يخدعني الخِبُّ)[(١)]. وكان عمر أعقل من أن يُخْدع، وأورع من أن يَخْدع، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء: ٨٨-٨٩] فهذا هو السَّليم من الآفات التي تعتري القلوب المريضة، من مرض الشُّبهة التي توجب اتِّباع الظَّنِّ، ومرض الشَّهوة التي توجب اتِّباع ما تهوى الأنفس، فالقلب السَّليم الذي سَلِم من هذا وهذا)[(٢)].

التَّرغيب في سلامة الصَّدر:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

---

(١) ((الروح)) لابن القيِّم (٢٤٣-٢٤٤).

(٢) ((المصدر السابق)).

قال ابن رجب: (أفضل الأعمال سَلَامة الصَّدر من أنواع الشَّحْناء كلِّها، وأفضلها السَّلَامة من شحناء أهل الأهواء والبدع، التي تقتضي الطَّعن على سلف الأمَّة، وبغضهم والحقد عليهم، واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم، ثمَّ يلي ذلك سَلَامة القلب من الشَّحْناء لعموم المسلمين، وإرادة الخير لهم، ونصيحتهم، وأن يحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين عمومًا بأنَّهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠])[١].

- وقال -تبارك وتعالى-: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ٤٣].

ففي هذه الآية الكريمة، يبيِّن الله -تبارك وتعالى- أنَّ سَلَامة الصَّدر، ونقاء القلب من أمراضه -والتي منها الغِلُّ- صفة من صفات أهل الجنَّة، وميزة من ميزاتهم، ونعيم يتنعمون به يوم القيامة. وقال -تبارك وتعالى- في موضع آخر من كتابه الكريم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

قال ابن عطية: (هذا إخبار من الله عزَّ وجلَّ أنَّه ينقِّي قلوب ساكني الجنَّة من الغلِّ والحقد، وذلك أنَّ صاحب الغلِّ متعذِّب به، ولا عذاب في الجنَّة)[٢].

وقال القشيري: (طهَّرنا قلوبهم من كلِّ غش، واستخلصنا أسرارهم عن كلِّ

(١) ((لطائف المعارف)) (ص ١٣٩).
(٢) ((المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)) (٢/٤٠١).

آفة. وطهَّر قلوب العارفين من كلِّ حظٍّ وعلاقة، كما طهَّر قلوب الزَّاهدين عن كلِّ رغبة ومُنية، وطهَّر قلوب العابدين عن كلِّ تهمة وشهوة، وطهَّر قلوب المحبِّين عن محبَّة كلِّ مخلوق، وعن غلِّ الصَّدر- كلٌّ واحد على قدر رتبته)[١].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يُبَلِّغُنِي أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فإنِّي أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سَلِيم الصَّدر))[٢].

هذا الحديث يكشف عن مدى اهتمام المصطفى صلى الله عليه وسلم بسَلَامة صدره، فهو ينهى ويحذِّر من أن يُنْقَل إليه ما يُوغِر صَدْره، ويغيِّر قلبه تجاه أصحابه الكرام، رضوان الله عليهم أجمعين.

قال المباركفوري شارحًا لهذا الحديث: (قوله: ((لا يبَلِّغُنِي)). أي: لا يوصلني. ((من أحد)). أي: من قبل أحد. ((شيئًا)). أي: مما أكرهه وأغضب عليه، وهو عامٌّ في الأفعال والأقوال، بأن شتم أحدًا وآذاه، قال فيه خصلة سوء. ((فإنِّي أحبُّ أن أخرج إليهم)). أي: من البيت وأُلَاقيهم. ((وأنا سليم الصَّدر)). أي: من مساويهم. قال ابن الملَك: والمعنى: أنَّه صلى الله عليه وسلم يتمنَّى أن يخرج من الدُّنيا وقلبه راض عن أصحابه، من غير سخط على أحد منهم)[٣].

---

(١) ((لطائف الإشارات)) (١/٥٣٥).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٦٠)، والترِّمذي (٣٨٩٦)، وأحمد (١/٣٩٥) (٣٧٥٩)، والبزار (٥/٤٠٦) (٢٠٣٨)، وأبو يعلى (٩/٢٦٦، رقم ٥٣٨٨)، والبيهقي (٨/١٦٦) (١٧١١٩)، قال الترِّمذي: غريب من هذا الوجه، وقال أحمد شاكر في تحقيق ((مسند أحمد)) (٥/٢٨٦): إسناده حسن على الأقل. وضعَّفه الألباني في ((ضعيف سنن أبي داود)) (٤٨٦٠).

(٣) ((تحفة الأحوذي)) (١٠/٢٧٠).

- وعن محمَّد بن كعب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ أوَّل من يدخل من هذا الباب، رجل من أهل الجنَّة، فدخل عبد الله بن سَلاَمٍ، فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك، وقالوا: أخْبِرْنا بأوثق عملٍ في نفسك ترجو به. فقال: إنِّي لضعيف، وإنَّ أوثق ما أرجو به الله سَلَامة الصَّدر، وترك ما لا يعنيني))(١).

وهنا يذكر عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه أنَّه لم يكن له كثير عمل استحق علية شهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنَّة، إلَّا أنَّ أرجى عمل وأوثقه لديه هو: أنَّه كان سليم الصَّدر مشتغل عما لا يعنيه.

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خبٌّ لئيم))(٢).

قال المناوي: (... ((المؤمن غِرٌّ)). أي: يغُرُّه كلُّ أحد، و يغُرُّه كلُّ شيء، ولا يعرف الشَّرَّ، وليس بذي مَكْر ولا فطنة للشَّرِّ، فهو يَنْخَدع لسَلَامة صَدْره، وحسن ظنِّه، وينخَدع لانقياده ولينه. ((كريم)). أي: شريف الأخلاق. ((والفاجر)). أي: الفاسق. ((خبٌّ لئيم)). أي: جريء، فيسعى في الأرض

(١) رواه ابن أبي الدنيا في ((الصمت)) (ص ٩٤)، قال العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣/١٣٩): أخرجه ابن أبي الدنيا هكذا مرسلًا، وفيه أبو نجيح اختلف فيه.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٩٠)، والترِّمذي (١٩٦٤)، وأحمد (٢/٣٩٤) (٩١٠٧)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٤١٨)، وأبو يعلى (١٠/٤٠١) (٦٠٠٧)، والحاكم (١/١٠٣)، والبيهقي (١٠/١٩٥) (٢١٣٣٠).

قال التِّرمذي: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال البغوي في ((شرح السُّنَّة)) (٦/٤٨١): غريب. وقال المنذري في ((التَّرغيب والتَّرهيب)) (٣/٣٤٠): رواته ثقات، سوى بشر بن رافع، وقد وُثِّق. وقال الذهبي في ((المهذب)) (٨/٤٢٠٢): فيه حجَّاج، تُكُلِّم فيه. وقال الشَّوكاني كما في ((الفتح الرباني)) (١١/٥٥٠٧): رجاله إسناده ثقات. وحسَّنه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٧٩٠).

بالفساد، فالمؤمن المحمود: من كان طبعه الغَرَارة، وقلَّة الفِطْنة للشَّرِّ، وترك البحث عنه، وليس ذلك منه جهلًا، والفاجر من عادته الخُبث والدَّهاء والتَّوغل في معرفة الشَّرِّ، وليس ذا منه عقلًا)[١].

- وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أي النَّاس أفضل؟ قال: كلُّ مَخْموم القلب، صدوق اللِّسان. قالوا: صدوق اللِّسان نعرفه، فما مَخْموم القلب؟ قال: هو النَّقيُّ التَّقيُّ، لا إثم عليه، ولا بَغْي ولا غلٌّ ولا حسد))[٢].

قال علي القاري: (أي: سليم القلب، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء: ٨٩]، من خَمَمْت البيت، إذا كنسته، على ما في ((القاموس)) وغيره، فالمعنى: أن يكون قلبه مكنوسًا من غبار الأغيار، ومُنَظَّفًا من أخلاق الأقذار)[٣].

أقوال السَّلف والعلماء في سلامة الصَّدر:

- قال ابن العربي: (لا يكون القلب سليمًا إذا كان حقودًا حسودًا معجبًا متكبرًا، وقد شرط النَّبي صلى الله عليه وسلم في الإيمان، أن يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه)[٤].

---

(١) ((فيض القدير)) (٦/٢٥٤).
(٢) رواه ابن ماجه (٣٤١٦)، وأبو نعيم في ((حلية الأولياء)) (١/١٨٣)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٥/٢٦٤) (٦٦٠٤). وصحَّح إسناده المنذري في ((التَّرغيب والتَّرهيب)) (٤/٣٣)، والبوصيري في ((زوائد ابن ماجه)) (٢/٣٢٥)، والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (٣/١٨)، وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٣٤١٦).
(٣) ((مرقاة المفاتيح)) لملا علي القاري (٨/٣٢٦٧- ٣٢٦٨).
(٤) ((أحكام القرآن)) لابن العربي (٣/٤٥٩).

- وسئل ابن سيرين -رحمه الله تعالى- ما القلب السَّليم؟ فقال: النَّاصح لله في خلقه[١].

- وقيل: القلب السَّليم الذي يحبُّ للنَّاس ما يحبُّه لنفسه، قد سَلِم جميع النَّاس من غشِّه وظلمه، وأسْلَم لله بقلبه ولسانه، ولا يعدل به غيره[٢].

- وقال ابن تيمية: (فالقلب السَّليم المحمود، هو الذي يريد الخير لا الشَّر، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشَّر، فأمَّا من لا يعرف الشَّر، فذاك نقص فيه لا يُمدح به)[٣].

- وقال الأكفاني وعبد الكريم: (وأصل العبادة مكابدة اللَّيل، وأقصر طرق الجنَّة سَلَامة الصَّدر)[٤].

- ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة، جمع ولده، وفيهم مَسْلمة، وكان سيِّدهم، فقال: أوصيكم بتقوى الله، فإنَّها عِصْمة باقية، وجُنَّة واقية، وهي أحصن كهف، وأزْيَن حِلْية، ليعطف الكبير منكم على الصَّغير، وليعرف الصَّغير منكم حقَّ الكبير، مع سَلَامة الصَّدر، والأخذ بجميل الأمور...[٥].

- وقال سفيان بن دينار: قلت لأبي بشير -وكان من أصحاب علي-: أخبرني عن أعمال من كان قَبْلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا، ويُؤْجَرون كثيرًا. قلت: ولم ذاك؟ قال: لسَلَامة صدورهم[٦].

(١) ((الهداية إلى بلوغ النهاية)) لمكي بن أبي طالب (٦١٢٢/٩).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((الفتاوى الكبرى)) (٢٦٤/٥).
(٤) ((تاريخ دمشق)) لابن عساكر (١٢٣/٤٩).
(٥) ((المصدر السابق)) (١٧١/٦٣).
(٦) ((الزهد)) لهناد بن السري (٦٠٠/٢).

- وقيل: أنَّه لَا طَرِيق أقرب من الصِّدْق، وَلَا دَلِيل أنجح من العِلم، ولَا زَاد أبلغ من التَّقْوَى، وما رأيت أَنْفَى للوسواس من ترك الفضول، ولَا أنور للقلب من سَلَامة الصَّدر[1].

- ويقال: أخلاق الأبدال عشرة أشياء، سَلَامة الصَّدر، وسخاوة المال، وصدق اللِّسان، وتواضع النَّفس، والصَّبر في الشِّدة، والبكاء في الخُلوة، والنَّصيحة للخَلْق، والرَّحمة للمؤمنين، والتَّفكُّر في الفناء، والعبرة في الأشياء[2].

- وقال قاسم الجوعي: أصل الدِّين الورع، وأفضل العبادة مكابدة اللَّيل، وأفضل طرق الجنَّة سَلَامة الصَّدر[3].

- وقال بدر الدِّين الغزي: (فمن آداب العِشْرة... سَلَامة قلبه للإخوان، والنَّصيحة لهم، وقبولها منهم، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء: ٨٩] وقال السقطي رحمه الله: (من أجلِّ أخلاق الأبرار: سَلَامة الصَّدر للإخوان، والنَّصيحة لهم)[4].

فوائد سلامة الصَّدر:

١- من أعظم فوائد سَلَامة الصَّدر: أنَّها سبيل لدخول الجنَّة، فهي صفة من صفات أهلها، ونعت من نعوتهم، قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشُّعراء ٨٨-٩٨].

٢- أنَّها تكسو صاحبها بحلَّة الخيريَّة، وتلبسه لباس الأفضلية، كما في

(١) ((رسالة المسترشدين)) للمحاسبي (١٦١ - ١٦٢).

(٢) ((تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين)) للسمرقندي (ص ٥٧٢).

(٣) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (٢/٣٨٩).

(٤) ((آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة)) لبدر الدِّين الغزي (ص ٢٠).

حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((خير النَّاس ذو القلب المخْمُوم واللِّسان الصَّادق، قيل: ما القلب المخْمُوم؟ قال: هو التَّقِيُّ النَّقِيُّ الذي لَا إثم فيه، ولَا بَغْي ولَا حسد، قيل: فمن على أَثَرِه؟ قال: الذي يَشْنَأُ الدُّنيا ويحبُّ الآخرة قيل: فمن على أَثَرِهِ؟ قال: مؤمن في خُلُق حسن)).

٣- أنَّها تجمع القلب على الخير والبِرِّ والطَّاعة والصَّلاح، فلا يجد القلب راحة إلا فيها، ولا تقرُّ عين المؤمن إلا بها.

٤- أنَّها تزيل العيوب، وتقطع أسباب الذُّنوب، فمن سَلِم صدره، وطَهُر قلبه عن الإرادات الفاسدة، والظُّنون السَّيئة، عفَّ لسانه وجوارحه عن كلِّ قبيح.

٥- ومن الفوائد أيضًا: أنَّ فيها اقتداء بالنَّبي صلى الله عليه وسلم وتأسِّيًا به، فهو -بأبي هو وأمي صلَّى الله عليه وسلم- أسلم النَّاس صدرًا، وأطيبهم قلبًا، وأصفاهم سريرة.

صور سلامة الصَّدر:

١- سَلَامة الصَّدر مع عامَّة النَّاس، فلا يحمل لهم في قلبه غلًّا ولا حسدًا، ولا غيرها من الأمراض والأَدْواء القلبيَّة، التي تقضي على أواصر المحبَّة، وتقطع صلات المودَّة.

٢- سَلَامة الصَّدر مع خاصَّة إخوانه ومقرَّبيه.

٣- سَلَامة الصَّدر مع وُلاة الأمر، فلا يحمل عليهم الحقد، ولا يثير عليهم العامَّة، ولا يذكر مثالبهم عند النَّاس، ويكون نصوحًا لهم، مُشْفِقًا عليهم،

غاضًّا الطرف عن أخطائهم التي يُتَجَاوز عنها، وينشر الخير عنهم، ويذكرهم بخير أعمالهم وصفاتهم.

٤- سَلَامة صدور الوُلاة للرَّعيَّة، فلا يُكثر من الشُّكوك فيهم، ولا يتربَّص بهم أو يتجسَّس عليهم، أو يؤذيهم في أموالهم أو ممتلكاتهم، ويكون مُشْفِقًا عليهم، ساعيًا وراء راحتهم.

٥- سَلَامة صدور العلماء وطلبة العلم بعضهم مع بعض، فـ(أحقُّ النَّاس -بعد العلماء- بسَلَامة الصَّدر طلَّاب العلم، فطالب العلم غدًا يقف أمام النَّاس يفتيهم ويعلِّمهم ويرشدهم، فلا بدَّ من أن يُرَبِّي نفسه على سَلَامة الصَّدر، ونقاء السَّريرة، التي هي صفة من صفات أهل الجنَّة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧])[١].

موانع اكتساب سَلَامة الصَّدر:

١- نزغات الشَّيطان، ووساوسه، فالشَّيطان حريص على إيغار الصُّدور، وإفساد القلوب، لذا حذَّر الله -تبارك وتعالى- منه، وأمر عباده بانتقاء القول الحسن، قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [الإسراء: ٥٣] وقال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الشَّيطان قد أَيِس أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب، ولكن في التَّحريش بينهم))[٢].

٢- إصابة القلب ببعض الأمراض الخُلُقيَّة، والتي تُفسد القلب، كالحسد

---

(١) ((معالم تربوية لطالبي أسنى الولايات الشرعية)) لمحمد المختار الشنقيطي (ص ٦٤).
(٢) رواه مسلم (٢٨١٢).

والغلِّ والحقد، وإذا اشتمل القلب على هذه الأدواء لم يُعْتبر سليمًا، فهي تضادُّ سَلَامة القلب.

٣- التَّنافس على الدُّنيا فعن عمرو بن عوف رضي الله عنه أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: ((والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكنِّي أخشى أَنْ تُبْسَط عليكم الدُّنيا كما بُسِطَتْ على من كان قبلكم، فتَنَافَسُوها كما تَنَافَسُوها، وتهلككم كما أهلكتهم))[1].

٤- حبُّ الشُّهرة والرِّياسة، وهي داء عضال ومرض خطير، وشرٌّ مُستطير، قال الفضيل بن عياض رحمه الله: (ما من أحدٍ أحبَّ الرِّياسة إلا حَسد وبَغى، وتَتبَّع عيوب النَّاس، وكره أن يُذكر أحد بخير)[2]. وقال ابن عبد البر -رحمه الله- تعالى:

حبُّ الرِّياسة داء يخلق الدُّنيا ... ويجعل الحبَّ حربًا للمحبينا
يَفْرِي[3] الحلاقم والأرحام يقطعها ... فلا مروءة يُبقي لا ولا دينًا[4]

٥- الاتِّصاف ببعض الصِّفات، والتي من شأنها أن تُوغر الصُّدور، وتؤثر في سلامتها، ككثرة المزاح، وكثرة المراء والجدال، والعُجب وغيرها.

الوسائل المعينة على اكتساب سَلَامة الصَّدر:

١- الإخلاص لله -تبارك وتعالى- وهذا تصديقًا لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((ثلاث لا

(١) رواه البخاري (٤٠١٥)، ومسلم (٢٩٦١).
(٢) ((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبد البر (٥٧١/١).
(٣) فراه يفريه فريا: شقه شقا. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٢٩/٣٩).
(٤) ((جامع بيان العلم وفضله)) لابن عبد البر (٥٧١/١).

يَغِلُّ عليهنَّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمَّة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنَّ الدَّعوة تحيط من ورائهم))[(١)]. قال ابن الأثير: (إنَّ هذه الخِلال الثَّلاث تُسْتَصلح بها القلوب، فمن تمسَّك بها طَهُر قلبه من الخيانة والدَّخل والشَّر)[(٢)].

٢- الإقبال على كتاب الله تعالى قراءةً وتعلُّمًا وتعليمًا، فهو شفاء لما في الصُّدور، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧].

٣- الدُّعاء، فهو العلاج النَّاجع والدَّواء النَّافع، فيدعو العبد مولاه أن يجعل قلبه سليمًا من الضغائن والأحقاد على إخوانه المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

٤- التَّخلُّق بالأخلاق التي تزيد من المحبَّة والألفة بين المؤمنين، كالبَشَاشة والتَّبسُّم، وإفشاء السَّلام، وإهداء الهديَّة وغيرها، فإنَّ هذه الأخلاق كفيلة بانتزاع سخيمة القلوب، وأغْلَاق الصُّدور، فتصبح نقيَّة صافية.

٥- الابتعاد عن كلِّ ما من شأنه أن يفسد الوُدَّ، ويعكِّر صفو الصُّدور، فيبتعد المؤمن عن الأخلاق الرَّديَّة، كالحسد والغلِّ والحقد والظَّنِّ السَّيئ وغيرها.

---

(١) رواه الترِّمذي (٢٦٥٨)، والحميدي (١/٤٧)، والبيهقي في ((معرفة السُّنن والآثار)) (١/١٠٩). قال ابن عبد البر في ((التمهيد)) (٢١/٢٧٨): المحفوظ في هذا الحديث خاصَّة: (ومناصحة ولاة المسلمين)، وقال ابن تيمية في ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) (١/١٨): مشهور في السُّنن. وصحَّحه الألباني في ((صحيح سنن الترِّمذي)) (٢٦٥٨).

(٢) ((النِّهاية في غريب الحديث والأثر)) لابن الأثير (٣/٣٨١).

٦- رضا العبد بما قسمه الله تعالى: (قال ابن القيِّم: إنَّ الرِّضا يفتح له باب السَّلَامة، فيجعل قلبه سليمًا نقيًّا من الغشِّ والدَّغل والغلِّ، ولا ينجو من عذاب الله إلَّا من أتى الله بقلب سَلِيم، كذلك وتستحيل سَلَامة القلب مع السَّخط وعدم الرِّضا، وكلَّما كان العبد أشدَّ رضى، كان قلبه أسلم)[1].

نماذج لسلامة الصَّدر:

• نماذج من الصَّحابة:

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنَّا جلوسًا مع الرَّسول صلى الله عليه وسلم فقال: ((يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنَّة، فطلع رجل من الأنصار، تَنْطِفُ[2] لحيته من وضوئه، قد تَعَلَّق نَعْلَيه في يده الشِّمال، فلمَّا كان الغد، قال النَّبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرَّجل مثل المرَّة الأولى، فلمَّا كان اليوم الثَّالث، قال النَّبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرَّجل على مثل حاله الأولى، فلمَّا قام النَّبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إنِّي لَاحَيْت[3] أبي فأقسمت ألَّا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيت أن تُؤْوِيَنِي إليك حتَّى تمضي، فَعلتَ. فقال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يحدِّث أنَّه بات معه تلك الليالي الثَّلاث، فلم يره يقوم من اللَّيل شيئًا، غير أنَّه إذا تعارَّ وتقلَّب على فراشه، ذَكَر الله عزَّ وجلَّ وكبَّر حتَّى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنِّي لم أسمعه يقول إلَّا خيرًا. فلمَّا مضت الثَّلاث ليال، وكدت أن أحتقر عمله، قلت: يا عبد الله، إنِّي لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هَجْرٌ، ولكن سمعت رسول الله صلى الله

---

(١) ((مدارج السالكين)) لابن القيِّم (٢/٢٠١).

(٢) نطف الماء: سال وقطر قليلا قليلا. انظر: ((تاج العروس)) للزبيدي (٢٤/٤٢١).

(٣) لاحيت الرجل ملاحاة ولحاء إذا نازعته. انظر: ((عمدة القاري)) لبدر الدين العيني (١١/١٣٨).

عليه وسلم يقول ثلاث مِرَار: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنَّة، فطلعت أنت الثَّلاث مِرَار، فأردت أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتدي به، فلم أرك تعمل كثير عملٍ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أنِّي لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غِشًّا، ولا أحسد أحدًا على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نطيق))[1].

- وعن زيد بن أسلم، أنَّه دخل على ابن أبي دُجانة، وهو مريض، وكان وجهه يتهلَّل، فقال له: ما لك يتهلَّل وجهك؟ قال: ما من عملِ شيءٍ أوثق عندي من اثنين: أمَّا أحدهما، فكنت لا أتكلَّم بما لا يعنيني، وأما الأُخْرى: فكان قلبي للمسلمين سليمًا[2].

- وأُثِر عن أبي الدَّرداء رضي الله عنه أنَّه كان يدعو لسبعين من أصحابه، يسمِّيهم بأسمائهم، وهذا العمل علامة على سَلَامة الصَّدر[3].

- وقد كان أبو موسى الأشعري صوَّامًا قوَّامًا، ربَّانيًّا، زاهدًا، عابدًا، ممَّن جمع العلم والعمل والجهاد وسَلَامة الصَّدر، لم تغيره الإمارة، ولا اغترَّ بالدُّنيا[4].

- **نماذج من السَّلف:**

- (دخل رجل على عمر بن عبد العزيز -رحمه الله تعالى- فذكر له عن رجل

(١) رواه أحمد (٣/١٦٦) (١٢٧٢٠)، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) (٥/٢٦٤) (٦٦٠٥). قال المنذري في ((التَّرغيب والتَّرهيب)) (٤/٣٢) والعراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢/٢٣١) وابن كثير في ((التفسير)) (٨/٩٥): إسناده على شرط البخاري ومسلم. وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٨/٨١): رجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) رواه ابن سعد في ((الطَّبقات الكبرى)) (٣/٥٥٦)، وابن أبي الدنيا في ((الصَّمت)) (ص ٩٥).

(٣) ذكره ابن بطال في ((شرح صحيح البخاري)) (٢/٤٥٠).

(٤) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (٤/٤٩).

شيئًا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبًا، فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقًا، فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو، يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا)[١].

- وعن الفضل بن أبي عيَّاش، قال: (كنت جالسًا مع وهب بن منبِّه، فأتاه رجل، فقال: إنِّي مررت بفلان وهو يشتُمك. فغضب، فقال: ما وجد الشَّيطان رسولًا غيرك؟ فما بَرِحْت من عنده حتَّى جاءه ذلك الرَّجل الشَّاتم، فسلَّم على وهب، فردَّ عليه، ومدَّ يده، وصافحه، وأجلسه إلى جنبه)[٢].

سلامة الصَّدر في واحة الشِّعر:

قال الشَّاعر:

بَني عمِّنا إنَّ العداوةَ شأنُها ... ضغائنُ تبقَى في نفوسِ الأقاربِ[٣]

وقال عنترة:

لا يحملُ الحقدَ من تَعْلُو به الرُّتبُ ... ولا ينالُ العلا مَن دأبُه الغضبُ[٤]

وقال الخليل:

سأُلزمُ نفسي الصَّفحَ عن كلِّ مذنبٍ ... وإن كثرتْ منه عليَّ الجرائمُ

فما النَّاسُ إلَّا واحدٌ مِن ثلاثةٍ ... شَرِيفٌ ومَشْرُوفٌ ومِثْلي مُقَاوِمُ

فأمَّا الذي فوقي فأعرفُ فضلَه ... وأتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمُ

---

(١) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/١٥٦).

(٢) ((صفة الصفوة)) لابن الجوزي (١/٤٥٧).

(٣) ((المستطرف)) للأبشيهي (ص ٤٠).

(٤) ((ديوان عنتر بن شداد)) (ص ١١).

وأمَّا الذي مثلي فإنْ زلَّ أو هفا تفضَّلت إنَّ الفضل بالعز حاكمُ
وأمَّا الذي دوني فإن قال صُنتُ عن إجابتِه عرضي وإن لام لائمُ[1]

وقال أبو الفتح البستي:

خذِ العفوَ وأْمرْ بعرفٍ كما أُمرت وأعرضْ عن الجاهلين
ولِنْ في الكلامِ لكلِّ الأنامِ فمُسْتَحْسَنٌ مِن ذوي الجاهِ لين[2]

وقال الشاعر:

إذا اسطعتَ كنْ إمَّا مسيحًا مسامحًا عداك وإمَّا فارسَ الحربِ عنترا
فما اللُّؤْمُ إلَّا إنْ حقدت فلم تكنْ كريمًا فتعفوا أو شجاعًا فتثأرا[3]



(١) ((مختصر تاريخ دمشق)) لابن منظور (١١/ ٢٤٢).
(٢) ((زهر الآداب وثمر الألباب)) للحصري (٢/ ٤٢٧).
(٣) ((مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي)) لأحمد قبش (ص ٣٣٤).



السَّمَاحة



السَّمَاحة

معنى السَّمَاحَة لغةً واصطلاحًا:

• معنى السَّمَاحَة لغةً:

مادة (سمح) تدل على سلَاسةٍ وَسُهولةٍ. والمسامَحة: المساهَلة، وسمح بكذا يسمح سُمُوحًا وسَماحه: جاد وأعطى، أو وافق على ما أريد منه[١].

• معنى السَّمَاحَة اصطلاحًا:

السَّمَاحَة في الاصطلاح تطلق على معنيين:

الأول: (بذل ما لا يجب تفضلًا)[٢].

الثاني: (في معنى التَّسامح مع الغير، في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور، والملاينة فيها، التي تتجلى في التيسير وعدم القهر)[٣].

الترغيب في السَّمَاحَة:

أولًا: في القرآن الكريم

- قال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

قال السعدي: (هذه الآية جامعة لحسن الخلق مع النَّاس، وما ينبغي في معاملتهم، فالذي ينبغي أن يعامل به النَّاس، أن يأخذ العفو، أي: ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق... ويتجاوز عن

---

(١) ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٣/٩٩)، ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/٩٩)، ((المصباح المنير)) للفيومي (١/٢٨٨).

(٢) ((التعريفات)) للجرجاني (ص ١٦٠).

(٣) ((نضرة النعيم)) (٦/٢٢٨٧).

تقصيرهم، ويغض طرفه عن نقصهم)[1].

- وقال سبحانه: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَاْ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

قال ابن عاشور: (ومعنى كون العفو أقرب للتقوى، أنَّ العفو أقرب إلى صفة التقوى من التمسك بالحق؛ لأن التمسك بالحق لا ينافي التقوى، لكنه يؤذن بتصلب صاحبه وشدته، والعفو يؤذن بسماحة صاحبه ورحمته، والقلب المطبوع على السَّمَاحَة والرَّحْمَة أقرب إلى التقوى، من القلب الصلب الشديد؛ لأنَّ التقوى تقرب بمقدار قوَّة الوازع، والوازع شرعي وطبيعي، وفي القلب المفطور على الرَّأفة والسَّمَاحَة، لين يزعه عن المظالم والقساوة، فتكون التقوى أقرب إليه؛ لكثرة أسبابها فيه)[2].

- ونفى الله عن رسوله الفظاظة، وغلظ القلب، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

قال السعدي: (أي: برحمة الله لك ولأصحابك، منَّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخفضت لهم جناحك، وترققت عليهم، وحسنت لهم خلقك، فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا﴾ أي: سيئ الخلق ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾ أي: قاسيه، ﴿لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ لأنَّ هذا يُنفرهم ويبغضهم

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) (ص ٣١٣).
(٢) ((التحرير والتنوير)) (٢/٤٦٥).

لمن قام به هذا الخلق السيِّئ)[١].

- وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ففي هذه الآية (وجَّه الله الدائنين إلى التيسير على المدينين المعسرين، فعلَّمهم الله بذلك سماحة النفس، وحسن التغاضي عن المعسرين)[٢].

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن جابر بن عبد الله، رضي الله عنهما أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى))[٣].

قال ابن بطال: (فيه الحضُّ على السَّمَاحَة، وحسن المعاملة، واستعمال معالي الأخلاق ومكارمها، وترك المشاحة والرقة في البيع، وذلك سبب إلى وجود البركة فيه؛ لأن النَّبي عليه السلام لا يحض أمته إلا على ما فيه النفع لهم، في الدنيا والآخرة)[٤].

وقال المناوي: (... ((رحم الله عبدًا)). دعاء أو خبر، وقرينة الاستقبال المستفاد من. ((إذا)). تجعله دعاء. ((سَمْحًا)). بفتح فسكون، جوادًا أو متساهلًا، غير مضايق في الأمور، وهذا صفة مشبَّهة تدل على الثبوت؛ ولذا كرر أحوال البيع والشراء والتقاضي، حيث قال: ((إذا باع، سمحًا إذا اشترى، سمحًا إذا قضى)). أي: وفى ما عليه بسهولة. ((سمحًا إذا اقتضى)).

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) (ص ١٥٤).
(٢) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٤٦٧).
(٣) رواه البخاري (٢٠٧٦)
(٤) ((شرح صحيح البخاري)) (٦/٢١٠).

أي: طلب قضاء حقه، وهذا مسوق للحث على المسامحة في المعاملة، وترك المشاححة والتضييق في الطلب، والتَّخلُّق بمكارم الأخلاق، وقال القاضي: رتَّب الدعاء على ذلك؛ ليدل على أنَّ السهولة والتسامح سبب لاستحقاق الدعاء، ويكون أهلًا للرحمة والاقتضاء والتقاضي، وهو طلب قضاء الحق)[١].

- وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((ألا أخبركم بمن يحرم على النار أو بمن تحرم عليه النار؟ على كل قريب هيِّن سهل))[٢].

قال القاري: (أي: تحرم على كل سهل طلق حليم، ليِّن الجانب، قيل: هما يطلقان على الإنسان بالتثقيل والتخفيف. ((قريب)). أي: من النَّاس بمجالستهم في محافل الطاعة، وملاطفتهم قدر الطاعة. ((سهل)). أي: في قضاء حوائجهم، أو معناه أنَّه سمح القضاء، سمح الاقتضاء، سمح البيع، سمح الشراء)[٣].

- وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر، والأبيض، والأسود، وبين ذلك، والسهل، والحزن، والخبيث، والطيب))[٤].

(١) ((فيض القدير)) (٢/٤٤١).
(٢) رواه الترمذي (٢٤٨٨)، وابن حبان (٢/٢١٥) (٤٦٩)، والطبراني في ((المعجم الكبير)) (١٠/٢٣١). قال المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٢٦٩٧): إسناده جيد. وصححه لغيره الألباني في ((صحيح الترغيب)) (١٧٤٤).
(٣) ((مرقاة المفاتيح)) (٨/٣١٧٩).
(٤) رواه أبو داود (٤٦٩٣)، والترمذي (٢٩٥٥)، وأحمد (٤/٤٠٠) (١٩٥٩٧). قال الترمذي حسن صحيح. وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (١٧٥٩).

قال الطيبي: (ولما كانت الأوصاف الأربعة ظاهرة في الإنسان والأرض، أجريت على حقيقتها، وأُوِّلت الأربعة الأخيرة؛ لأنَّها من الأخلاق الباطنة، فإنَّ المعني بالسهل: الرفق واللين، وبالحزن: الخرق والعنف، وبالطيِّب: الذي يعني به الأرض العذبة، المؤمن الذي هو نفع كله، بالخبيث: الذي يراد به الأرض السبخة، الكافر الذي هو ضر كله، والذي سبق له الحديث هو الأمور الباطنة؛ لأنَّها داخلة في حديث القدر بالخير والشر، وأما الأمور الظاهرة من الألوان، وإن كانت مقدرة فلا اعتبار لها فيه)[١].

(والنفس السَّمحة كالأرض الطَّيِّبَة الهيِّنَة المستوية، فهي لكل ما يراد منها من خير صالحة، إن أردت عبورها هانت، وإن أردت حرثها وزراعتها لانت، وإن أردت البناءِ فيها سهلت، وإن شئت النوم عليها تمهدت)[٢].

- وعن حذيفة رضي الله عنه قال: ((أتى الله بعبد من عباده آتاه الله مالًا، فقال له: ماذا عملت في الدنيا؟ - قال ولا يكتمون الله حديثًا — قال: يا رب آتيتني مالك، فكنت أبايع النَّاس، وكان من خلقي الجواز، فكنت أتيسَّر على الموسر، وأنظر المعسر. فقال الله: أنا أحق بذا منك، تجاوزوا عن عبدي))[٣].

قال النووي: (والتَّجاوز والتَّجوز معناهما، المسامحة في الاقتضاء، والاستيفاء، وقبول ما فيه نقص يسير، كما قال وأتجوَّز في السِّكَّة، وفي هذه الأحاديث فضل إنظار المعسر والوضع عنه، إمَّا كل الدين، وإما بعضه من كثير، أو قليل، وفضل المسامحة في الاقتضاء وفي الاستيفاء، سواء استوفي من موسر أو معسر،

(١) ((مرقاة المفاتيح)) للقاري (١/١٧٦).
(٢) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٤٤٦).
(٣) رواه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠) واللفظ له.

وفضل الوضع من الدين، وأنَّه لا يحتقر شيء من أفعال الخير، فلعله سبب السعادة والرَّحْمَة)(١).

قال ابن تيمية: (وأما السَّمَاحَة والصبر، فخلقان في النفس. قال تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧] وهذا أعلى من ذاك، وهو أن يكون صبَّارًا شكورًا، فيه سماحة بالرَّحْمَة للإنسان، وصبر على المكاره، وهذا ضد الذي خلق هلوعًا، إذا مسه الشر جزوعًا، وإذا مسه الخير منوعًا؛ فإنَّ ذاك ليس فيه سماحة عند النعمة، ولا صبر عند المصيبة)(٢).

فوائد سماحة النَّفس:

- (يستطيع سمح النفس الهين اللين، أن يغنم في حياته أكبر قسط من السعادة وهناءة العيش؛ لأنه بخلقه هذا يتكيَّف مع الأوضاع الطبيعية والاجتماعية بسرعة، مهما كانت غير ملائمة لما يحب.

- ويستطيع أن يستقبل المقادير بالرضى والتسليم، مهما كانت مكروهة للنفوس.

- ويستطيع سمح النفس الهين اللين، أن يظفر بأكبر قسط من محبة النَّاس له، وثقة النَّاس به؛ لأنه يعاملهم بالسَّمَاحَة والبشر ولين الجانب، والتغاضي عن السيئات والنقائص، فإذا دعاه الواجب إلى تقديم النصح، كان في نصحه رفيقًا ليِّنًا، سمحًا هيِّنًا، يسر بالنصيحة، ولا يريد الفضيحة، يسد الثغرات، ولا ينشر الزلَّات والعثرات.

- ويعامل النَّاس أيضًا بالسَّمَاحَة في الأمور المادية، فإذا باع كان سمحًا،

(١) ((شرح مسلم)) للنووي (١٠/٢٢٥).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٧/٢٦٤).

وإذا اشترى كان سمحًا، وإذا أخذ كان سمحًا، وإذا أعطى كان سمحًا، وإذا قضى ما عليه كان سمحًا، وإذا اقتضى ما له كان سمحًا.

- ويجلب سمح النفس، الهيِّن الليِّن لنفسه، الخير الدنيوي بتسامحه؛ وذلك لأنَّ النَّاس يحبون المتسامح الهيِّن الليِّن، فيميلون إلى التعامل معه، فيكثر عليه الخير بكثرة محبيه والواثقين به.

- ويجلب سمح النفس الهيِّن الليِّن لنفسه رضى الله تعالى والخير الأخروي العظيم، ما ابتغى بسماحته رضوان الله عز وجل)[١].

صور السَّمَاحَة:

النَّاس على اختلاف مستوياتهم، واختلاف نماذجهم الخلقية، يوجد فيهم من يتمتعون بخلق سماحة النفس، فهم هيِّنون ليِّنون سمحاء، ويوجد فيهم آخرون نكدون، متشددون، يتذمرون من كل شيء لا يوافق هواهم[٢]. وصور سماحة النفس كثيرة فمنها:

١- السَّمَاحَة في التعامل مع الآخرين:

ويكون ذلك بعدم التشديد، وعدم الغلظة في التعامل مع الآخرين، حتى ولو كان خادمًا، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((خدمتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت؟))[٣].

٢- السَّمَاحَة في البيع والشراء:

وتكون السَّمَاحَة في البيع والشراء، بأن لا يكون البائع مغاليًا في الربح،

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٤٤٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (٢/٤٤١).

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٨)، ومسلم (٢٣٠٩)، واللفظ للبخاري.

ومكثرًا في المساومة، بل عليه أن يكون كريم النفس. وبالمقابل على المشتري أيضًا أن يتساهل، وأن لا يدقق في الفروق القليلة، وأن يكون كريمًا مع البائع وخاصة إذا كان فقيرًا.

٣- السَّمَاحَة في قضاء الحوائج:

فإن الذي يقضي حوائج النَّاس، فينفس كربتهم وييسر على معسرهم، ييسر الله عنه في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: ((من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسَّر على معسر، يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا، ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه))[١].

٤- السَّمَاحَة في الاقتضاء:

قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

قال السعدي: (﴿ وَإِن كَانَ ﴾ المدين ﴿ذُو عُسْرَةٍ ﴾ لا يجد وفاء ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ إما بإسقاطها أو بعضها)[٢]. فمن السَّمَاحَة في الاقتضاء أن يراعي حال المدين، وأن لا يطالبه بشدة وأمام النَّاس، قال صلى الله عليه وسلم: ((من طلب حقًّا، فليطلبه في عفاف، واف أو غير واف))[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(٢) ((تيسير الكريم الرحمن)) للسعدي (١١٦).

(٣) رواه ابن ماجه (٢٤٢١)، وابن حبان (٤٧٤/١١) (٥٠٨٠)، والحاكم (٣٨/٢) (٢٢٣٨) =

وسائل اكتساب خلق سماحة النفس:

هناك عدة وسائل لاكتساب خلق سماحة النفس، منها:

١- (التأمل في الترغيبات التي رغب الله بها الذين يتحلون بخلق السَّمَاحَة، والفوائد التي يجنونها في العاجلة والآجلة، والسعادة التي يظفرون بها في الحياة الدنيا والآخرة.

٢- التأمل في المحاذير التي حذَّر الله منها النكدين المتشدِّدين العسيرين، وما يجلبه لهم خلقهم وظواهره السلوكية، من مضار عاجلة وآجلة، ومتاعب وآلام كثيرة، وخسارة مادية ومعنوية)[١].

نماذج في السَّمَاحَة:

• نماذج من سماحة النَّبي صلى الله عليه وسلم:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمحًا في تعامله وهو المثل الأكمل في السَّمَاحَة، يحكي لنا أنس رضي الله عنه ما لاقاه من النَّبي صلى الله عليه وسلم من حسن المعاملة فيقول: ((خدمتُ النَّبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين، فما قال لي: أف، ولا: لم صنعت؟ ولا: ألا صنعت؟))[٢].

- وعنه أيضًا قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن النَّاس خلقًا، فأرسلني يومًا لحاجة، فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتى أمر على صبيان،

= من حديث ابن عمر وعائشة رضي الله عنهم. قال الحاكم: صحيح على شرط البخاري. ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٦٣٨٤).

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٤٥١) بتصرف.

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٨).

وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك، فقال: ((يا أنيس ذهبت حيث أمرتك؟ قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله))[١].

- ومن سماحته صلى الله عليه وسلم قضاء حوائج النَّاس، فعن أنس رضي الله عنه قال: (إن كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت)[٢].

- ومن سماحته صلى الله عليه وسلم، عفوه عمن أراد قتله، فعن جابر رضي الله عنه أنَّه غزا مع النَّبي صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجد، فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم، قفل معهم فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق النَّاس يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة، فعلق بها سيفه، ونمنا نومة، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: ((إن هذا اخترط عليَّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتًا قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله ثلاثًا، ولم يعاقبه وجلس))[٣].

- ومن سماحته صلى الله عليه وسلم، تعامله مع الأعرابي الذي جذب رداءه بشدة؛ ليأمر له بعطاء، فعن أنس رضي الله عنه قال: ((كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، ورجع نبي الله صلى الله عليه وسلم في

(١) رواه مسلم (٢٣١٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠٧٢).

(٣) رواه البخاري (٢٩١٠).

نحر الأعرابي، حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جبذته، ثم قال: يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم ضحك، ثم أمر له بعطاء))[١].

• نماذج من سماحة السلف مع غير المسلمين:

- في خلافة أبي بكر رضي الله عنه، كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق -وكانوا من النصارى-: (وجعلت لهم أيما شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله)[٢].

- وأوصى عمر رضي الله عنه الخليفة من بعده بأهل الذمة أن يُوفَى لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم[٣].

- وذبحت لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، شاة في أهله، فلما جاء، قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنَّه سيورثه))[٤].

---

(١) رواه البخاري (٥٨٠٩)، ومسلم (١٠٥٧).

(٢) ((كتاب الخراج)) لأبي يوسف (ص ١٥٧).

(٣) رواه البخاري (١٣٩٢).

(٤) رواه أبو داود (٥١٥٢)، الترمذي (١٩٤٣)، والبيهقي في ((معرفة السنن والآثار)) (٦/٢١٤). قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه. وصححه الألباني في ((الترغيب والترهيب)) (٢٥٧٤).

- وفي خلافة عمر بن عبد العزيز رحمه الله كتب إلى عدي بن أرطأة: (وانظر من قبلك من أهل الذمة، قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولَّت عنه المكاسب، فأجر عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه)[١].

علامات سمح النفس:

هناك علامات للمتصف بخلق السَّمَاحَة منها[٢]:

١- طلاقة الوجه، واستقبال النَّاس بالبشر، ومشاركتهم بالسمع والفكر والقلب.

وطلق الوجه حسن البشر بالنَّاس، محبب إليهم، مألوف في نفوسهم، قريب إلى قلوبهم.

وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على هذه الظاهرة بقوله وعمله، فمن ذلك ما جاء عن جابر رضي الله عنه، إذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((كل معروف صدقة، وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق، وأن تفرغ من دلوك في إناء أخيك))[٣].

وهكذا يكون سمح النفس طلق الوجه باسمًا مشرق المحيَّا، بخلاف النكد الصعب، حتى يبدو كأنه قَرِف من كل شيء، فإذا واجه النَّاس واجههم بسحنة منقبضة، لا انبساط فيها ولا بشر، وإذا اجتمع معهم، لم يشاركهم

(١) ((الأموال)) للقاسم بن سلاَّم (ص ٥٦).
(٢) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٤٤٧) بتصرف.
(٣) رواه الترمذي (١٩٧٠)، وأحمد (٣/٣٦٠) (١٤٩٢٠). حسنه الترمذي، والبغوي في ((شرح السنة)) (٣/٤٠٦)، وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب والترهيب)) (٢٦٨٤).

بمشاعره ولا بحواسِّه، وكان بينهم كأنه غريب عنهم، وكأنهم غرباء عنه... وهذا الوضع يجعله ممقوتًا مكروهًا بعيدًا عن قلوب النَّاس؛ لأنَّه وضع يلازمه في معظم أحواله بسبب نكد نفسه الملازم له...

٢- مبادرة النَّاس بالتحية والسلام والمصافحة وحسن المحادثة:

فمن كان سمح النفس بادر إلى هذه المحاسن، ووجودها في الإنسان طبيعية غير متكلَّفة، يدل على أنَّه سمح هيِّن ليِّن رقيق حاشية النفس، ألوف ودود لا فظ ولا غليظ.

٣- حسن المصاحبة والمعاشرة والتغاضي وعدم التشدد في الأمور:

فمن كان سمح النفس، كان حسن المصاحبة لإخوانه، ولأهله، ولأولاده، ولخدمه، ولكل من يخالطه، ولكل من يرعاه.

وكان حسن المعاشرة خفيف المحاسبة والمؤاخذة، متغاضيًا عن المخالفات التي تتعلق به، لا يتشدد في الأمور، ولا يعظِّم الصغائر، بل يلتمس العذر لمن يقصر معه، أو لا يعطيه من الاحترام أو الخدمة حقه.

سماحة الإسلام:

كما دعا الإسلام المسلمين إلى التحلي بخلق السَّمَاحَة، فإنَّ السَّمَاحَة من خلق الإسلام نفسه، فمن السَّمَاحَة عفو الله ومغفرته للمذنبين من عباده، وحلمه تبارك وتعالى على عباده، وتيسير الشريعة عليهم، وتخفيف التكاليف عنهم، ونهيهم عن الغلو في الدين، ونهيهم عن التشديد في الدين على عباد الله[١].

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني (٢/٤٦٥) بتصرف.

- قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

- وقال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

- وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

- قال صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الدين يسر، ولن يشادَّ الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة، والروحة، وشيء من الدلجة))(١).

- ونهى النَّبي عن التنطع والتَّشدد في الدين، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((هلك المتنطعون)). قالها ثلاثًا(٢).

- ودعا الرسول صلى الله عليه وسلم على من يشق على المسلمين فقال: ((اللهم من ولي من أمر أمتي شيئًا فشقَّ عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئًا فرفق بهم، فارفق به))(٣).

- وأمر بالتخفيف على المسلمين ونهى عن التثقيل في أمور الدين فعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: ((أتى رجلٌ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم، فقال: إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، قال: فما رأيت رسول

---

(١) رواه البخاري (٣٩) واللفظ له، ومسلم (٢٨١٦).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٠).

(٣) رواه مسلم (١٨٢٨).

الله صلى الله عليه وسلم قط أشد غضبًا في موعظة منه يومئذ، قال: فقال: يا أيها النَّاس إنَّ منكم منفِّرين، فأيُّكم ما صلى بالنَّاس فليتجوَّزْ، فإنَّ فيهم المريض، والكبير، وذا الحاجة))[١].

- ومن سماحة الإسلام، تيسيره لشؤون مناسك الحج، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ((أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف في حجة الوداع بمنى للناس يسألونه، فجاءه رجل، فقال: لم أشعر فحلقت قبل أن أذبح، فقال: اذبح ولا حرج، فجاء آخر فقال: لم أشعر فنحرت قبل أن أرمي، قال: ارم ولا حرج، فما سئل النَّبي صلى الله عليه وسلم عن شيء قُدِّمَ ولا أُخِّر، إلا قال: افعل ولا حرج))[٢].

- سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين؛ فالإسلام لم تقتصر سماحته على المسلمين فحسب، بل شمل غير المسلمين، من اليهود والنصارى، والمشركين، حتى في حالة الحرب، فنهى الإسلام عن قتل الأطفال، والنساء، والشيوخ، والعجزة، فعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ((إذا أمَّر أميرًا على جيش، أو سريَّة، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال -أو خلال-: فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكفَّ عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام))[٣].

---

(١) رواه البخاري (٦١١٠).

(٢) رواه البخاري (٨٣)، ومسلم (١٣٠٦).

(٣) رواه مسلم (١٧٣١).

- وقال صلى الله عليه وسلم: ((إذا فتحتم مصر، فاستوصوا بالقبط خيرًا، فإن لهم ذمةً ورحمًا))[١].

السَّمَاحَة في واحة الشعر:

قال أوس بن حجر:

أيتها النفسُ أجملي جزعًا إنَّ الذي تحذرين قد وقعا
إنَّ الذي جمع السَّمَاحَة والنجدةَ والحزمَ والقوى جمعا[٢]

وقال محمد بن أشكاب العجمي:

وإذا جدتَ للصديقِ بوعدٍ فصِلِ الوعدَ بالفعالِ الجميلِ
ليس في وعدِ ذي السَّمَاحَةِ مطلٌ إنَّما المطلُ في عداتِ البخيلِ[٣]

وقال الشافعي:

وكنْ رجلًا على الأهوالِ جلدًا وشيمتُكَ السَّمَاحَةُ والوفاءُ
وإن كثرت عيوبُكَ في البرايا وسَرَّك أَنْ يَكونَ لها غِطَاءُ
تَسَتَّر بالسَّخَاءِ فكُلُّ عَيْبٍ يُغطِّيه كما قيلَ السَّخاءُ

(١) رواه الطحاوي في ((شرح مشكل الآثار)) (٦/١٣٧)، والطبراني (١٩/٦١) (١١٣) من حديث كعب بن مالك رضي الله عنه.
قال البيهقي في ((دلائل النبوة)) (٦/٣٢٢): روي من أوجه أخر، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (١٠/٦٦): [روي] بإسنادين ورجال أحدهما رجال الصحيح، وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٦٩٨). والحديث رواه مسلم (٢٥٤٣) من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنكم ستفتحون مصر، وهي أرض يسمى فيها القيراط. فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها، فإن لهم ذمة ورحما. أو قال: ذمة وصهرا)).
(٢) ((الفوائد والأخبار)) لأبي بكر بن دريد (ص ٣٤).
(٣) ((البخلاء)) للخطيب البغدادي (ص ١٥٠).

ولا ترجُ السَّمَاحَةَ مِن بخيلٍ فَما في النَّارِ لِلظْمآنِ مَاءُ[١]

وقال آخر:

قد تحابى الجواد نائبة الدَّهْر وفيهَا على البَخِيلِ وقاحة

كم رَأينَا من نعْمَةٍ قادها الْبُخْل وأخرى تذودُ عنها السَّمَاحَة[٢]



(١) ((ديوان الإمام الشافعي)) (ص ١٧).

(٢) ((يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر)) لأبي منصور الثعالبي (٢/٣٥٣).



الشَّجَاعَة



الشَّجَاعَة

معنى الشَّجَاعَة لغةً واصطلاحًا:

- **معنى الشَّجَاعَة لغةً:**

الشجاعة: شدَّة القلب عند البأس، وأصل هذه المادة يدل على جرأة وإقدام. يقال: شجُع شجاعة: اشتد عند البأس[١].

- **معنى الشَّجَاعَة اصطلاحًا:**

قيل هي: (الإقدام على المكاره، والمهالك، عند الحاجة إلى ذلك، وثبات الجأش عند المخاوف، والاستهانة بالموت)[٢].

وقال ابن حزم: (حد الشَّجَاعَة: بذل النفس للموت، عن الدين، والحريم، وعن الجار المضطهد، وعن المستجير المظلوم، وعن الهضيمة ظلمًا في المال، والعرض، وفي سائر سبل الحق، سواء قلَّ من يعارض أو كثر)[٣].

الفرق بين الشَّجَاعَة وبعض الصفات:

- **الفرق بين الشجاعة والقوة:**

(كثير من الناس تشتبه عليه الشجاعة بالقوة وهما متغايران، فإن الشجاعة هي ثبات القلب عند النوازل وإن كان ضعيف البطش.

وكان الصديق رضي الله عنه أشجع الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر وغيره أقوى منه، ولكن برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه

---

(١) انظر: ((لسان العرب)) لابن منظور (١٧٣/٨)، ((الصحاح)) للجوهري (١٢٣٥/٣)، ((مقاييس اللغة)) لابن فارس (٢٤٧/٣)، ((مختار الصحاح)) للرازي (ص ٣٥٤).

(٢) ((تهذيب الأخلاق)) المنسوب للجاحظ (ص ٢٧).

(٣) ((الأخلاق والسير)) لابن حزم (ص ٨٠).

في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال، وهو في ذلك ثابت القلب، ربيط الجأش، يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم، فيثبتهم، ويشجعهم)[١].

- **الفرق بين البسالة والشَّجَاعَة:**

أنَّ أصل البسل: الحرام، فكأن الباسل يتعذَّر على أحد أو يحرم عليه، أن يصيبه في الحرب بمكروه؛ لشدته فيها وقوته.

والشَّجَاعَة: الجرأة، والشُّجاع: الجريء، المقدام في الحرب ضعيفًا كان أو قويًّا، والجرأة قوة القلب الداعي إلى الإقدام على المكاره، فالشَّجَاعَة تنبئ عن الجرأة، والبسالة تنبئ عن الشدَّة[٢].

- **الفرق بين الشَّجَاعَة والجرأة:**

أنَّ الشَّجَاعَة من القلب: وهي ثباته واستقراره عند المخاوف، وهو خلق يتولد من الصبر وحسن الظن، فإنَّه متى ظن الظفر وساعده الصبر ثبت، كما أنَّ الجبن يتولد من سوء الظن وعدم الصبر، فلا يظن الظفر ولا يساعده الصبر.

وأما الجرأة: فهي إقدام، سببه قلة المبالاة، وعدم النظر في العاقبة، بل تقدم النفس في غير موضع الإقدام معرضة عن ملاحظة العارض، فإمَّا عليها، وإمَّا لها[٣].

الترغيب في الشَّجَاعَة:

أولًا: في القرآن الكريم

- أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بالقتال في سبيله، والثبات عليه،

---

(١) ((الفروسية)) لابن القيم (ص ٥٠٠).
(٢) ((الفروق اللغوية)) لأبي هلال العسكري (ص ٩٩).
(٣) ((الروح)) لابن القيم (ص ٢٣٧) بتصرف.

والإقدام في الحروب، وعدم الجبن، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [الأنفال: ١٦].

- وقال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥].

قال السعدي: (يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ ﴾ أي: حثهم وأنهضهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم وينشِّط هممهم، من الترغيب في الجهاد، ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل الشَّجَاعَة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأنَّ الشَّجَاعَة بالمؤمنين أولى من غيرهم)[1].

- وقال سبحانه: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

- وأمر الله المسلمين بالثبات في الجهاد فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: ٤٥].

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن)) (ص ٣٢٥).

ثانيًا: في السُّنَّة النَّبويَّة

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((المؤمن القوي خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنِّي فعلت كان كذا وكذا، ولكن قل قدَّر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان))[١].

قال النووي: (والمراد بالقوة هنا، عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه، وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة، والصوم، والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها، ومحافظةً عليها، ونحو ذلك)[٢].

- وعن عمرو بن ميمون الأودي قال: كان سعد يعلِّم بنيه هؤلاء الكلمات، كما يعلم المعلم الغلمان الكتابة ويقول: ((إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتعوذ منهن دبر الصلاة: اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر، فحدثت به مصعبًا فصدقه))[٣].

قال المهلب: (أما استعاذته صلى الله عليه وسلم من الجبن، فإنَّه يؤدي إلى

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤).

(٢) ((شرح النووي على صحيح مسلم)) (٤/٢٠٥٢).

(٣) رواه البخاري (٢٨٢٢).

عذاب الآخرة؛ لأنَّه يفر من قرنه في الزحف فيدخل تحت وعيد الله لقوله: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ ﴾ [الأنفال: ١٦] الآية، وربما يفتن في دينه، فيرتد لجبن أدركه)[١].

- وعن عبادة بن الوليد بن عبادة عن أبيه عن جده قال: ((بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة، في العسر واليسر، والمنشط والمكره، وعلى أثرة علينا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله، وعلى أن نقول بالحق أينما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم))[٢].

أقوال السلف والعلماء في الشَّجَاعَة:

- قال أبو بكر رضي الله تعالى عنه لخالد بن الوليد: (احرص على الموت، توهب لك الحياة)[٣].

- وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (الجبن والشَّجَاعَة غرائز في النَّاس، تلقى الرجل يقاتل عمن لا يعرف، وتلقى الرجل يفر عن أبيه)[٤].

- وخطب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، النَّاس لما بلغه قتل أخيه مصعب، فقال: (إن يقتل فقد قتل أبوه، وأخوه، وعمه، إنا والله لا نموت حتفًا، ولكن نموت قعصًا بأطراف الرماح، وموتًا تحت ظلال السيوف، وإن يقتل مصعب فإنَّ في آل الزبير خلفًا منه)[٥].

---

(١) ((شرح البخاري)) لابن بطال (٥/٣٥).
(٢) رواه البخاري (٧١٩٩)، ومسلم (١٧٠٩).
(٣) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/٩٢).
(٤) ((مكارم الأخلاق)) لابن أبي الدنيا (ص ٧٠).
(٥) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/١٠١)، والموت قعصًا أن يُرمى فيموت مكانه.

- وكتب زياد إلى ابن عباس رضي الله عنه: (أن صف لي الشَّجَاعَة، والجبن، والجود، والبخل، فكتب إليه: كتبت تسألني عن طبائع، رُكِّبت في الإنسان تركيب الجوارح، اعلم أنَّ الشجاع يقاتل عمن لا يعرفه، والجبان يفر عن عرسه، وأن الجواد يعطي من لا يلزمه، وأن البخيل يمسك عن نفسه)[١].

- وقالوا: (حد الشَّجَاعَة سعة الصدر، بالإقدام على الأمور المتلفة)[٢].

- وسئل بعضهم عن الشَّجَاعَة فقال: (جبلَّة نفسٍ أبيَّة، قيل له: فما النَّجدة؟ قال: ثقة النفس عند استرسالها إلى الموت، حتى تحمد بفعلها دون خوف)[٣].

- وقيل لبعضهم: (ما الشَّجَاعَة؟ فقال: صبر ساعة. وقال بعض أهل التجارب: الرجال ثلاثة: فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس: الذي يشد إذا شدوا، والشجاع: الداعي إلى البراز والمجيب داعيه، والبطل: الحامي لظهور القوم إذا ولَّوا.

قال يعقوب بن السكيت في كتاب ((الألفاظ)): العرب تجعل الشَّجَاعَة في أربع طبقات، تقول: رجلٌ شجاعٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: بطلٌ، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: بهمةٌ[٤]، فإذا كان فوق ذلك، قالوا: أَلْيس[٥])[٦].

---

(١) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/٣٤٧).

(٢) ((المصدر السابق)) (٣/٢٠٨).

(٣) ((المصدر السابق)).

(٤) بهمة: البُهْمةُ بالضم: الشجاع وقيل هو الفارس الذي لا يُدْرَى من أَين يُؤتى له من شدَّة بأْسِه والجمع بُهَم. ((لسان العرب)) لابن منظور (١٢/٥٦).

(٥) الأَلْيَسُ مَن لا يُبَالي الحَرْبَ ولا يَرُوعُه. واللِّيسُ واللُّوسُ: الأَشِدَّاءُ. ((تاج العروس)) للزبيدي (١٦/٤٩٣).

(٦) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/٢٠٨).

- وقال بعض الحكماء: (جسم الحرب: الشَّجَاعَة، وقلبها: التدبير، ولسانها: المكيدة، وجناحها: الطاعة، وقائدها: الرفق، وسائقها: النصر)[(١)].

- وقال عمرو بن معد يكرب: (الفزعات ثلاثة: فمن كانت فزعته في رجليه، فذاك الذي لا تقله رجلاه، ومن كانت فزعته في رأسه، فذاك الذي يفر عن أبويه، ومن كانت فزعته في قلبه، فذاك الذي لا يقاتل)[(٢)].

- وقال ابن تيمية: (ولما كان صلاح بني آدم لا يتم في دينهم ودنياهم إلا بالشَّجَاعَة والكرم، بيَّن الله سبحانه أنَّه من تولى عنه بترك الجهاد بنفسه، أبدل الله به من يقوم بذلك، ومن تولَّى عنه بإنفاق ماله، أبدل الله به من يقوم بذلك)[(٣)].

- وقال ابن القيم: (الجبن والشَّجَاعَة غرائز وأخلاق، فالجبان يفر عن عرسه، والشجاع يقاتل عمَّن لا يعرفه، كما قال الشاعر:

يفر جبان القوم من أم نفسه ... ويحمي شجاع القوم من لا يناسبه

والشجاع ضد البخيل؛ لأن البخيل يضن بماله، والشجاع يجود بنفسه، كما قال القائل:

كم بين قوم إنَّما نفقاتهم ... مال وقوم ينفقون نفوسا)[(٤)]

- وقال الذهبي: (الشَّجَاعَة والسخاء أخوان، فمن لم يجد بماله، فلن يجود بنفسه)[(٥)].

---

(١) ((نهاية الأرب في فنون الأدب)) للنويري (٣/٢٠٨).
(٢) ((الفروسية)) لابن القيم (ص ٤٩٨).
(٣) ((الاستقامة)) لابن القيم (٢/٢٦٩).
(٤) ((الفروسية)) لابن القيم (ص ٤٩٨).
(٥) ((سير أعلام النبلاء)) للذهبي (١٩/٢٣٥).

فوائد الشَّجَاعَة:

الشَّجَاعَة لها فوائد تعود على الفرد والمجتمع، منها:

١- أنها سبب لانشراح الصدر:

قال ابن القيم: (فإنَّ الشجاع منشرح الصدر، واسع البطان، متسع القلب، والجبان أضيق النَّاس صدرًا، وأحصرهم قلبًا، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له ولا نعيم إلا من جنس ما للحيوان البهيمي، وأما سرور الروح ولذتها، ونعيمها، وابتهاجها، فمحرم على كل جبان، كما هو محرم على كل بخيل، وعلى كل معرض عن الله سبحانه، غافل عن ذكره، جاهل به وبأسمائه تعالى وصفاته ودينه، متعلق القلب بغيره)[١].

٢- الشَّجَاعَة أصل الفضائل:

فمن يتصف بالشَّجَاعَة يتحلى أيضًا بالنجدة، وعظم الهمة، والثبات، والصبر، والحلم، وعدم الطيش، والشهامة، واحتمال الكد.

٣- الشَّجَاعَة تحمل صاحبها على عزة النفس وإيثار معالي الأخلاق والشيم:

قال ابن القيم: (والشَّجَاعَة تحمله على عزة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشيم، وعلى البذل والندى، الذي هو شجاعة النفس، وقوتها، على إخراج المحبوب، ومفارقته، وتحمله على كظم الغيظ، والحلم، فإنَّه بقوة نفسه، وشجاعتها، يمسك عنانها، ويكبحها بلجامها عن النزغ، والبطش، كما قال: ((ليس الشديد بالصرعة، إنَّما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب))، وهو

(١) ((زاد المعاد)) لابن القيم (٢/ ٢٢).

حقيقة الشَّجَاعَة، وهي ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه)[(١)].

٤- الرجل الشجاع يحسن الظن بالله:

قال ابن القيم: (والجبن خلق مذموم عند جميع الخلق، وأهل الجبن: هم أهل سوء الظن بالله، وأهل الشَّجَاعَة والجود: هم أهل حسن الظن بالله، كما قال بعض الحكماء في وصيته: عليكم بأهل السخاء، والشَّجَاعَة، فإنَّهم أهل حسن الظن بالله، والشَّجَاعَة جُنَّة للرجل من المكاره، والجبن إعانة منه لعدوه على نفسه، فهو جند وسلاح يعطيه عدوه ليحاربه به، وقد قالت العرب: الشَّجَاعَة وقاية، والجبن مقتلة، وقد أكذب الله سبحانه أطماع الجبناء في ظنِّهم أنَّ جبنهم ينجيهم من القتل والموت، فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦].

ولقد أحسن قطري بن الفجاءة بقوله:

أقول لها وقد طارت شعاعًا ... من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم ... على الأجل الذي لك لن تطاعي
فصبرًا في مجال الموت صبرًا ... فما نيل الخلود بمستطاع
وما ثوب الحياة بثوب عز ... فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي ... وداعيه لأهل الأرض داعي
ومن لم يعتبط يسأم ويهرم ... وتسلمه المنون إلى انقطاع
وما للمرء خير في حياة ... إذا ما عدَّ من سقط المتاع)[(٢)]

(١) ((الفروسية)) لابن القيم (ص ٤٩١).
(٢) ((المصدر السابق)).

٥- لا تتم مصلحة الإمارة والسياسة إلا بالشَّجَاعَة:

قال ابن تيمية: (لا تتم رعاية الخلق وسياستهم، إلا بالجود الذي هو العطاء، والنجدة التي هي الشَّجَاعَة، بل لا يصلح الدين والدنيا إلا بذلك، ولهذا كان من لا يقوم بهما، سلبه الأمر ونقله إلى غيره، كما قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ٣٨ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩] وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، وقد قال الله تعالى: ﴿لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾. [الحديد: ١٠] فعلق الأمر بالإنفاق الذي هو السخاء، والقتال الذي هو الشَّجَاعَة، وكذلك قال الله تعالى في غير موضع: ﴿وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾. [التوبة: ٤١])[١].

وقال في موضع آخر: (كما أنَّ عليهم -أي ولاة الأمور- من الشَّجَاعَة والسَّمَاحَة ما ليس على غيرهم؛ لأنَّ مصلحة الإمارة لا تتم إلا بذلك)[٢].

---

(١) ((السياسة الشرعية)) (ص ٧٤).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) لابن تيمية (٢٨/١٨٠).

٦- الشجاعة تجمع جملة من الفضائل وهي[1]:

أ- كِبَرُ النفس:

وهو الاستهانة باليسير، والاقتدار على حمل الكرائه، فصاحبه أبدًا يؤهل نفسه للأمور العظام مع استخفافه لها.

ب- النَّجدة:

وهي ثقة النفس عند المخاوف، حتى لا يخامرها جزع.

ج- عظم الهمة:

وهي فضيلة للنفس، تحتمل بها سعادة الجد وضدها، حتى الشدائد التي تكون عند الموت.

د- الثبات:

وهو فضيلة للنفس، تقوى بها على احتمال الآلام، ومقاومتها في الأهوال خاصة.

هـ- الحلم:

وهو فضيلة للنفس، تكسبها الطمأنينة، فلا تكون شغِبَة، ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة.

و- السكون:

وهو عدم الطيش، فهو إمَّا عند الخصومات، وإمَّا في الحروب التي يذب بها عن الحريم، أو عن الشريعة. وهو قوة للنفس، تقسر حركتها في هذه الأحوال لشدتها.

---

(١) ((تهذيب الأخلاق)) لابن مسكويه (ص ١٨)، بتصرف.

ز- الشهامة:

وهي الحرص على الأعمال العظام، توقعًا للأحدوثة الجميلة.

ح- احتمال الكد:

وهو قوة للنفس، بها تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية، بالتمرين وحسن العادة.

أقسام الشَّجَاعَة:

ذكر الراغب الأصفهاني في كتابه (الذريعة) خمسة أنواع للشجاعة وهي:

- (سبعيَّة: كمن أقدم لثوران غضب وتطلُّب غَلَبة.
- وبهيميَّة: كمن حارب توصلًا إلى مأكل أو منكح.
- وتجريبيَّة: كمن حارب مرارًا فظفر. فجعل ذلك أصلًا يبني عليه.
- وجهاديَّة: كمن يحارب ذبًّا عن الدين.
- وحكميَّة: وهي ما تكون في كل ذلك عن فكر، وتمييز، وهيئة محمودة، بقدر ما يجب وعلى ما يجب، ألا ترى أنَّه يحمد من أقدم على كافر؛ غضبًا لدين الله، أو طمعًا في ثوابه، أو خوفًا من عقابه، أو اعتمادًا على ما رأى من إنجاز وعد الله في نصرة أوليائه، فإن كل ذلك محمود، وإن كان محض الشَّجَاعَة هو أن لا يقصد بالإقدام حوز ثواب، أو دفع عقاب...

ومن الشَّجَاعَة المحمودة مجاهدة الإنسان نفسه، أو غيره، وكل واحد منهما ضربان:

- مجاهدة النفس بالقول: وذلك بالتعلم، وبالفعل: وذلك بقمع الشهوة، وتهذيب الحمية.

- ومجاهدة الغير بالقول: وذلك تزيين الحق وتعليمه، وبالفعل: وذلك مدافعة الباطل ومتعاطيه بالحرب)[١].

مراتب الشجعان:

تحدث ابن القيم عن مراتب الشجعان فقال:

(أوَّل مراتبهم الهُمام؛ وسمي بذلك لهمته وعزمه، وجاء على بناء فُعَال كشجاع.

الثاني المقدام؛ وسمي بذلك من الإقدام، وهو ضد الإحجام وجاء على أوزان المبالغة، كمعطاء، ومنحار، لكثير العطاء، والنحر، وهذا البناء يستوي فيه المذكر والمؤنث، كامرأة معطار كثيرة التعطر، ومذكار تلد الذكور.

الثالث الباسل: وهو اسم فاعل من بسل يبسل، كشرف يشرف، والبسالة الشَّجَاعَة والشدة، وضدها فشل يفشل فشالة، وهي على وزنها فعلًا ومصدرًا وهي الرذالة.

الرابع البطل: وجمعه أبطال وفي تسميته قولان:

أحدهما: لأنَّه يبطل فعل الأقران، فتبطل عند شجاعة الشجعان، فيكون بطل بمعنى مفعول في المعنى؛ لأنَّ هذا الفعل غير متعد.

والثاني: أنَّه بمعنى فاعل لفظًا ومعنى؛ لأنَّه الذي يبطل شجاعة غيره فيجعلها بمنزلة العدم، فهو بطل بمعنى مبطل.

ويجوز أن يكون بطل بمعنى مبطل بوزن مكرم، وهو الذي قد بطله غيره، فلشجاعته تحاماه النَّاس، فبطلوا فعله باستسلامهم له، وترك محاربتهم إياه.

---

(١) ((الذريعة إلى مكارم الشريعة)) (ص ٣٢٨).

الخامس: الصنديد بكسر الصاد[1].

صور الشَّجَاعَة:

١- الإقدام في ساحات الوغى في الجهاد في سبيل الله، والاستهانة بالموت.

٢- الجرأة في إنكار المنكر وبيان الحق:

قال صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الجهاد، كلمة عدلٍ عند سلطانٍ جائر))[2].

٣- الشَّجَاعَة في الأعمال التي تحتاج إلى تحمل المخاطر ورباطة الجأش:

كرجال الشرطة، ورجال الإطفاء، وعمال المناجم، وغيرهم.

٤- حضور الذهن عند الشدائد:

من أكبر مظاهر الشَّجَاعَة، حضور الذهن عند الشدائد، فشجاعٌ من إذا عراه خطبٌ، لم يذهب برشده، بل يقابله برزانة وثبات، ويتصرف فيه بذهن حاضر، وعقل غير مشتت[3].

---

(١) ((الفروسية)) (٥٠٣).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٤٤)، والترمذي (٢١٧٤) بلفظ: ((أعظم)) بدلا من ((أفضل))، وابن ماجه (٣٢٥٦) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
قال الترمذي: حسن غريب من هذا الوجه ، وحسن إسناده ابن الملقن في ((شرح البخاري)) (١٨٠/١٩)، وحسنه ابن حجر في ((الأمالي المطلقة)) (١٩٦)، وقال أحمد شاكر في ((عمدة التفسير)) (٧١٦/١): فيه عطية العوفي ضعيف. ولكنه ثابت ضمن حديث مطول بإسنادين صحيحين، وصححه الألباني في ((صحيح سنن أبي داود)) (٤٣٤٤).
ورواه ابن ماجه (٣٢٥٧)، وأحمد (٢٥١/٥) (٢٢٢١٢)، والطبراني (٢٨٢/٨) (٨٠٨١). من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.
حسنه البغوي في ((شرح السنة)) (٣١٤/٥)، وصحح إسناده المنذري في ((الترغيب والترهيب)) (٢٢٩/٣)، والشوكاني في ((الفتح الرباني)) (٥٤٤٧/١١)، وحسنه الألباني في ((صحيح سنن ابن ماجه)) (٣٢٥٧)، والوادعي في ((الصحيح المسند)) (٤٨٢).

(٣) ((الأخلاق الإسلامية)) لجمال نصار. بتصرف (ص ٢٠٦).

٥- الشَّجَاعَة الأدبية:

والمراد بها أن يبدي الإنسان رأيه، وما يعتقد أنَّه الحق، مهما ظنَّ النَّاس به، أو تقوَّلوا عليه، فيقول الحق بأدب، وإن تألَّم منه النَّاس، ويعترف بالخطأ، وإن نالته عقوبة، ويرفض العمل بما لا يراه صوابًا[1].

وسائل اكتساب خلق الشَّجَاعَة:

١- اللجوء إلى الله بالدعاء والإكثار من الذكر:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾ [الأنفال:٤٥].

(للعلماء في هذا الذكر ثلاثة أقوال:

الأول: اذكروا الله عند جزع قلوبكم، فإن ذكره يعين على الثبات في الشدائد.

الثاني: اثبتوا بقلوبكم، واذكروه بألسنتكم، فإن القلب لا يسكن عند اللقاء ويضطرب اللسان، فأمر بالذكر حتى يثبت القلب على اليقين، ويثبت اللسان على الذكر، ويقول ما قاله أصحاب طالوت: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠] وهذه الحالة لا تكون إلا عن قوة المعرفة، واتقاد البصيرة، وهي الشَّجَاعَة المحمودة في النَّاس.

الثالث: اذكروا ما عندكم من وعد الله لكم في ابتياعه أنفسكم ومثامنته لكم)[2].

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لجمال نصار. بتصرف (ص ٢٠٦).

(٢) ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (٨/٢٣).

٢- (ترسيخ عقيدة الإيمان بالقضاءِ والقدر، وأن الإنسان لن يصيبه إلا ما كتب الله له.

٣- ترسيخ عقيدة الإيمان باليوم الآخر.

٤- غرس اليقين بما أعده الله من النعيم في الجنة، للذين يقاتلون في سبيل الله.

٥- التدريب العملي بدفع الإنسان إلى المواقف المحرجة، التي لا يتخلص منها إلا بأن يتشجع.

٦- الاقتناع بأن معظم مثيرات الجبن، لا تعدو كونها مجرد أوهام لا حقيقة لها.

٧- القدوة الحسنة وعرض مشاهد الشجعان، وذكر قصصهم.

٨- إثارة دوافع التنافس، ومكافأة الأشجع بعطاءات مادية)[1].

ضوابط استعمال الشَّجَاعَة:

١- الاستعانة بها في طاعة الله، ومن ذلك الجهاد في سبيل الله:

فيجب استعمال الشَّجَاعَة فيما يقربِّ إلى الله سبحانه وتعالى، من مقارعة الأعداء، والإقدام في ساحات الوغى في الجهاد في سبيل الله.

قال ابن تيمية: (ومما ينبغي أن يعلم أن الشَّجَاعَة، إنَّما فضيلتها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله، وإلا فالشَّجَاعَة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله كانت إمَّا وبالًا عليه إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان، وإمَّا غير نافعة له إن استعملها فيما لا يقربه إلى الله تعالى، فشجاعة

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لعبد الرحمن الميداني. بتصرف (٢/٥٦٨).

علي، والزبير، وخالد، وأبي دجانة، والبراء بن مالك، وأبي طلحة، وغيرهم من شجعان الصحابة إنَّما صارت من فضائلهم؛ لاستعانتهم بها على الجهاد في سبيل الله، فإنَّهم بذلك استحقوا ما حمد الله به المجاهدين، وإذا كان كذلك فمعلومٌ أنَّ الجهاد منه ما يكون بالقتال باليد، ومنه ما يكون بالحجة والبيان والدعوة، قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [الفرقان: ٥١-٥٢]، فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجاهد الكفار بالقرآن جهادًا كبيرًا، وهذه السورة مكيَّة نزلت بمكة قبل أن يهاجر النَّبي، وقبل أن يؤمر بالقتال، ولم يؤذن له، وإنَّما كان هذا الجهاد بالعلم والقلب، والبيان والدعوة لا بالقتال، وأما القتال فيحتاج إلى التدبير، والرأي، ويحتاج إلى شجاعة القلب، وإلى القتال باليد، وهو إلى الرأي والشَّجَاعَة في القلب، في الرأس المطاع، أحوج منه إلى قوة البدن)[1].

٢- أن تكون في موضعها:

فيُقْدِمُ الشجاع في موضع الإقدام، ويثبت في موضع الثبات، ويحجم في موضع الإحجام.

وقال ابن القيم: (ولما كانت الشَّجَاعَة خلقًا كريمًا من أخلاق النفس ترتب عليها أربعة أمور: وهي مظهرها وثمرتها، الإقدام في موضع الإقدام، والإحجام في موضع الإحجام، والثبات في موضع الثبات، والزوال في موضع الزوال. وضد ذلك مخلٌّ بالشَّجَاعَة، وهو إمَّا جبن، وإمَّا تهور، وأما خفة وطيش)[2].

---

(١) ((منهاج السُّنَّة النَّبويَّة)) (٨/٦٣).

(٢) ((الفروسية)) (ص ٥٠٤).

٣- أن تقترن بالرأي الصحيح:

قال ابن القيم: (وإذا اجتمع في الرجل الرَّأي والشَّجَاعَة، فهو الذي يصلح لتدبير الجيوش وسياسة أمر الحرب. والنَّاس ثلاثة، رجل، ونصف رجل، ولا شيء، فالرَّجل من اجتمع له أصالة الرأي والشَّجَاعَة، فهذا الرجل الكامل، كما قال أحمد بن الحسين المتنبي:

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني

فإذا هما اجتمعا لنفس مرة بلغت من العلياء كل مكان

ونصف الرجل، وهو من انفرد بأحد الوصفين دون الآخر، والذي هو لا شيء، من عري من الوصفين جميعًا)(١).

وقال أيضًا: (وصحة الرأي لقاح الشَّجَاعَة، فإذا اجتمعا كان النصر والظفر، وإن قعدا فالخذلان والخيبة، وإن وجد الرأي بلا شجاعة فالجبن والعجز، وإن حصلت الشَّجَاعَة بلا رأي فالتَّهور والعطب، والصبر لقاح البصيرة، فإذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما، قال الحسن: إذا شئت أن ترى بصيرًا لا صبر له رأيته، وإذا شئت أن ترى صابرًا لا بصيرة له رأيته، فإذا رأيت صابرًا بصيرًا فذاك)(٢).

نماذج في الشَّجَاعَة:

- **نماذج من شجاعة النَّبي صلى الله عليه وسلم:**

- وعن علي رضي الله عنه قال: (لقد رأيتنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد النَّاس يومئذ بأسًا)(٣).

---

(١) ((الفروسية)) (٥٠٥).

(٢) ((الفوائد)) لابن القيم (ص ٢٠٠).

(٣) رواه أحمد (١/٨٦) (٦٥٤)، وابن أبي شيبة (٦/٤٢٦) (٣٢٦١٤). جوَّد إسناده العراقي في ((تخريج الإحياء)) (٢/٤٦٧)، وصحح إسناده أحمد شاكر في ((تخريج المسند)) (٢/٦٤).

- قال رجل للبراء رضي الله عنه: ((يا أبا عمارة، أفررتم يوم حنين؟ قال: لا والله، ما ولَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنه خرج شبان أصحابه وأَخِفَّاؤُهم حُسَّرًا ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قومًا رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نصر، فرشقوهم رشقًا ما يكادون يخطئون، فأقبلوا هناك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يقود به، فنزل فاستنصر وقال: أنا النَّبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ثُمَّ صفَّهم))(١).

- وعن عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: ((شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين، فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم نفارقه، ورسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي، فلما التقى المسلمون والكفار، ولَّى المسلمون مدبرين، فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قِبَلَ الكفار، قال عباس: وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكفها؛ إرادةَ أن لا تسرع، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيْ عباس، ناد أصحاب السمرة. فقال عباس: -وكان رجلًا صيِّتًا- فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة، قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي، عطفة البقر على أولادها. فقالوا: يا لبيك يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار يا معشر الأنصار، قال: ثُمَّ قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني الحارث بن الخزرج،

---

(١) رواه البخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦).

يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمتطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا حين حمي الوطيس))[(١)].

- وعن أنس رضي الله عنه قال: ((كان النَّبي صلى الله عليه وسلم أحسن النَّاس، وأجود النَّاس، وأشجع النَّاس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة فانطلق النَّاس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النَّبي صلى الله عليه وسلم، قد سبق النَّاس إلى الصوت وهو يقول: لن تراعوا لن تراعوا، وهو على فرس لأبي طلحة عري، ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: لقد وجدته بحرًا[(٢)]، أو إنَّه لبحر))[(٣)].

- **نماذج من شجاعة الصحابة رضي الله عنهم:**

(وقد كان الموروث صلوات الله وسلامه عليه أشجع النَّاس، فكذلك وارثه وخليفته من بعده أشجع الأمة بالقياس، ويكفي أنَّ عمر بن الخطاب سهم من كنانته، وخالد بن الوليد سلاح من أسلحته، والمهاجرون والأنصار أهل بيعته وشوكته، وما منهم إلا من اعترف أنَّه يستمد من ثباته وشجاعته)[(٤)].

شجاعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

قال ابن القيم رحمه الله: (وكان الصديق رضي الله عنه أشجع الأمة بعد رسول الله... برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه، في كل موطن من المواطن التي تزلزل الجبال، وهو في ذلك ثابت القلب، ربيط الجأش، يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم، فيثبتهم ويشجعهم، ولو لم يكن له إلا ثبات قلبه يوم

---

(١) رواه مسلم (١٧٧٥).

(٢) بحرا: أي واسع الجري. ((شرح النووي على مسلم)) (٦٨/١٥).

(٣) رواه البخاري (٦٠٣٣).

(٤) ((الفروسية)) لابن القيم (ص ٥٠٢).

الغار، وليلته، وثبات قلبه يوم بدر، وهو يقول للنَّبي يا رسول الله كفاك بعض مناشدتك ربك، فإنه منجز لك ما وعدك، وثبات قلبه يوم أحد، وقد صرخ الشيطان في النَّاس بأن محمدًا قد قتل، ولم يبق أحد مع رسول الله إلا دون عشرين في أحد، وهو مع ذلك ثابت القلب ساكن الجأش، وثبات قلبه يوم الخندق وقد زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وثبات قلبه يوم الحديبية، وقد قلق فارس الإسلام عمر بن الخطاب، حتى إنَّ الصديق ليثبته ويسكنه ويطمئنه، وثبات قلبه يوم حنين حيث فر النَّاس وهو لم يفر، وثبات قلبه حين النازلة التي اهتزت لها الدنيا أجمع، وكادت تزول لها الجبال، وعقرت لها أقدام الأبطال، وماجت لها قلوب أهل الإسلام ،كموج البحر عند هبوب قواصف الرياح، وصاح لها الشيطان في أقطار الأرض أبلغ الصياح، وخرج النَّاس بها من دين الله أفواجًا، وأثار عدو الله بها أقطار الأرض عجاجًا، وانقطع لها الوحي من السماء، وكاد لولا دفاع الله لطمس نجوم الاهتداء، وأنكرت الصحابة بها قلوبهم، وكيف لا وقد فقدوا رسولهم من بين أظهرهم، وحبيبهم، وطاشت الأحلام، وغشي الآفاق ما غشيها من الظلام، واشْرَأَبَّ النفاق، ومد أهله الأعناق، ورفع الباطل رأسًا كان تحت قدم الرسول موضوعًا، وسمع المسلمون من أعداء الله ما لم يكن في حياته بينهم مسموعًا، وطمع عدو الله أن يعيد النَّاس إلى عبادة الأصنام، وأن يصرف وجوههم عن البيت الحرام، وأن يصد قلوبهم عن الإيمان والقرآن، ويدعوهم إلى ما كانوا عليه من التهود، والتمجس، والشرك، وعبادة الصلبان، فشمَّر الصديق رضي الله عنه من جده عن ساق غير خوار، وانتضى سيف عزمه الذي هو ثاني ذي الفقار، وامتطى من ظهور عزائمه جوادًا لم يكن يكبو يوم السباق، وتقدم جنود الإسلام فكان أفرسهم إنَّما همه اللحاق، وقال والله لأجاهدن أعداء الإسلام

جهدي، ولأصدقنهم الحرب حتى تنفرد سالفتي، أو أفرد وحدي، ولأدخلنهم في الباب الذي خرجوا منه، ولَأَرُدَّنَّهُمْ إلى الحق الذي رغبوا عنه، فثبَّت الله بذلك القلب الذي لو وزن بقلوب الأمة لرجحها جيوش الإسلام، وأذلَّ بها المنافقين، والمرتدين، وأهل الكتاب، وعبدة الأصنام، حتى استقامت قناة الدين من بعد اعوجاجها، وجرت الملة الحنيفية على سننها ومنهاجها، وتولَّى حزب الشيطان وهم الخاسرون، وأذَّن مؤذن الإيمان على رؤوس الخلائق ﴿فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

هذا وما ضعفت جيوش عزماته، ولا استكانت ولا وهنت، بل لم تزل الجيوش بها مؤيَّدة ومنصورة، وما فرحت عزائم أعدائه بالظفر في موطن من المواطن، بل لم تزل مغلوبة مكسورة، تلك لعمر الله الشَّجَاعَة التي تضاءلت لها فرسان الأمم، والهمَّة التي تصاغرت عندها عليات الهمم، ويحق لصديق الأمة أن يضرب من هذا المغنم بأوفر نصيب، وكيف لا وقد فاز من ميراث النبوة بكمال التعصب)[(١)].

- وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ((لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل النَّاس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرت أن أقاتل النَّاس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله. فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه. فقال

(١) ((الفروسية)) (ص ٥٠٢).

عمر بن الخطاب فوالله ما هو إلا أن رأيت الله عزَّ وجلَّ قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنَّه الحق))[١].

– وعن عروة بن الزبير، قال: سألت ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنَّبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((بينا النَّبي صلى الله عليه وسلم يصلي في حجر الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه، فخنقه خنقا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه، عن النَّبي صلى الله عليه وسلم وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ ﴾ الآية [غافر: ٢٨]))[٢].

– وعن محمد بن عقيل بن أبي طالب، قال: (خطبنا علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فقال: أيها النَّاس، أخبروني بأشجع النَّاس، قالوا: لو قلنا أنت يا أمير المؤمنين، فقال: أما إني ما بارزت أحدًا إلا انتصفت منه، ولكن أخبروني بأشجع النَّاس؟ قالوا: لا نعلم، فمن؟ قال: أبو بكر الصديق، إنا لما كان يوم بدر جعلنا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشًا فقلنا: من يكون مع النَّبي صلى الله عليه وسلم لا يهوي إليه أحد من المشركين؟ فوالله ما دنا منا أحد إلا أبو بكر شاهرًا بالسيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا يهوي إليه أحد إلا هوى إليه، وهذا أشجع النَّاس، قال علي: فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذته قريش فهذا يجؤه، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهًا واحدًا، قال: فوالله ما دنا منه إليه أحد إلا أبو بكر، يضرب هذا، ويجأ هذا، ويتلتل هذا، وهو يقول: ويلكم أتقتلون رجلًا أن يقول ربي الله، ثم رفع علي بردة كانت عليه فبكى حتى أخضل لحيته،

(١) رواه البخاري (١٣٩٩)، ومسلم (٢٠).

(٢) رواه البخاري (٣٨٥٦).

ثم قال علي: أنشدكم الله، أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ قال: فسكت القوم، فقال: ألا تجيبوني ؟ والله لساعة من أبي بكر خير من ملء الأرض مثل مؤمن آل فرعون، ذاك رجل يكتم إيمانه، وهذا رجل أعلن إيمانه)[١].

شجاعة عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

- عن عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، قال: (ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر)[٢].

- وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: (لما أسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لم تعلم قريش بإسلامه، فقال: أي أهل مكة أنشأ للحديث؟ فقالوا: جميل بن معمر الجمحي، فخرج إليه وأنا معه أتبع أثره، أعقل ما أرى وأسمع، فأتاه فقال: يا جميل، إني قد أسلمت، قال: فوالله ما رد عليه كلمة حتى قام عامدًا إلى المسجد، فنادى أندية قريش، فقال: يا معشر قريش، إنَّ ابن الخطاب قد صبأ، فقال عمر: كذب ولكني أسلمت وآمنت بالله، وصدَّقت رسوله، فثاوروه، فقاتلهم حتى ركدت الشمس على رؤوسهم، حتى فتر عمر وجلس، فقاموا على رأسه، فقال عمر: افعلوا ما بدا لكم، فوالله لو كنا ثلاث مائة رجل لقد تركتموها لنا أو تركناها لكم...)[٣].

- وعن محمد بن إسحاق قال: (فلما قدم عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو

---

(١) رواه البزار (١٤/٣) (٧٦١)، وأبو نعيم في ((فضائل الخلفاء)) (١٨١)، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٤٩/٩): فيه من لم أعرفه.

(٢) رواه البخاري (٣٨٦٣).

(٣) رواه البزار (٢٦٠/١) (١٥٦)، وابن حبان (٣٠٢/١٥) (٦٨٧٩) واللفظ له، والطبراني مختصرًا (٧٢/١) (٨٣). جوَّد إسناده وقوَّاه ابن كثير في ((البداية والنهاية)) (٧٩/٣)، وقال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) (٦٨/٩): رجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس، وحسن إسناده الشوكاني في ((در السحابة)) (٩٩) وقال: [وروي] من حديث عمر نفسه بإسناد رجاله ثقات.

ابن العاص، على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردهم النجاشي بما يكرهون، أسلم عمر بن الخطاب، وكان رجلًا ذا شكيمة، لا يرام ما وراء ظهره، امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة بن عبد المطلب، حتى غزا قريشًا، فكان عبد الله بن مسعود يقول: ما كنا نقدر على أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر بن الخطاب، فلما أسلم قاتل قريشًا حتى صلَّى عند الكعبة وصلَّينا معه، وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب النَّبي صلى الله عليه وسلم إلى أرض الحبشة)[1].

شجاعة علي رضي الله عنه:

- عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه - في سياق ذكره ليوم خيبر - أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله، أو يحبه الله ورسوله. قال: فأتيت عليًّا فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسق في عينيه فبرأ، وأعطاه الرَّاية وخرج مرحب فقال:

قد علمت خيبر أني مرحب   شاكي السلاح بطل مجرب

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي:

أنا الذي سمتني أمي حيدره   كليث غابات كريه المنظره

أوفيهم بالصاع كيل السندره

---

(١) رواه ابن هشام في ((السيرة)) (١/٣٤٢)، وأحمد في ((فضائل الصحابة)) (١/٢٧٨).

قال فضرب رأس مرحب فقتله ثم كان الفتح على يديه))[١].

شجاعة الزبير رضي الله عنه:

- عن عمرو بن دينار قال كان يقال: (أشجع النَّاس الزبير، وأبسلهم علي رضي الله عنهما، والباسل فوق الشجاع)[٢].

- وعن هشام بن عروة، عن أبيه، (أنَّ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للزبير يوم اليرموك، ألا تشد فنشد معك؟ فقال: إنِّي إن شددت كذبتم، فقالوا لا نفعل، فحمل عليهم حتى شق صفوفهم فجاوزهم وما معه أحد، ثم رجع مقبلًا فأخذوا بلجامه فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة: كنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير)[٣].

- وعن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قال: ((كنت يوم الأحزاب، جعلت أنا وعمر بن أبي سلمة في النساء، فنظرت فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين، أو ثلاثًا، فلما رجعت قلت يا أبت رأيتك تختلف، قال: أو هل رأيتني يا بني؟ قلت: نعم، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من يأت بني قريظة فيأتيني بخبرهم؟ فانطلقت فلما رجعت جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه، فقال: فداك أبي وأمي))[٤].

شجاعة خالد بن الوليد رضي الله عنه:

قال خالد بن الوليد رضي الله عنه: (لقد رأيتني يوم مؤتة تقطَّعت في يدي

---

(١) رواه مسلم (١٨٠٧).

(٢) ((مكارم الأخلاق)) لابن أبي الدنيا (ص ٥٧).

(٣) رواه البخاري (٣٩٧٥).

(٤) رواه البخاري (٣٧٢٠).

تسعة أسياف، وصبرت في يدي صفيحة لي يمانية)[١].

ولما احتضر قال: (لقد طلبت القتل مظانه، فلم يقدر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيءٌ أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بتها وأنا متترس بترسي، والسماء تهلبني ننتظر الصبح حتى نغير على الكفار، ثُمَّ قال: إذا أنا مت فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوها عدَّة في سبيل الله عزَّ وجلَّ)[٢].

شجاعة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه:

عن عامر بن سعد عن أبيه رضي الله عنه: ((أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع له أبويه قال: كان رجل من المشركين قد خرق المسلمين، فقال النَّبي صلى الله عليه وسلم لسعد: ارم فداك أبي وأمي، قال: فنزعت بسهم لي فيه نصل، فأصبت جنبه، فوقع وانكشفت عوراته، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نظرت إلى نواجذه))[٣].

نماذج أخرى من شجاعة الصحابة رضي الله عنهم:

- عن أنس رضي الله عنه، قال: ((غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئنِ اللهُ أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع، فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر، إنِّي أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت

---

(١) ((مكارم الأخلاق)) لابن أبي الدنيا (ص ٦١).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٦٢)، تهلبني: أي تبلني وتمطرني.
(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٦٣).

يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس كنا نرى، أو نظن أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ إلى آخر الآية))(١).

- وعنه رضي الله عنه، قال: ((أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ سيفًا يوم أحد فقال: من يأخذ مني هذا؟ فبسطوا أيديهم كل إنسان منهم يقول أنا أنا. قال: فمن يأخذه بحقه؟ قال: فأحجم القوم، فقال سماك بن خرشة أبو دجانة: أنا آخذه بحقه. قال فأخذه ففلق به هام المشركين))(٢).

- **نماذج من شجاعة العلماء المتقدمين:**

شجاعة العز بن عبد السلام رحمه الله في إنكار المنكر:

ذكر الباجي موقفًا من مواقف ابن عبد السلام رحمه الله، فقال: (طلع شيخنا عز الدين مرة إلى السلطان في يوم عيد إلى القلعة، فشاهد العساكر مصطفين بين يديه ومجلس المملكة، وما السلطان فيه يوم العيد من الأبهة، وقد خرج على قومه في زينته على عادة سلاطين الديار المصرية، وأخذت الأمراء تقبل الأرض بين يدي السلطان، فالتفت الشيخ إلى السلطان، وناداه: يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك ألم أبوئ لك ملك مصر ثم تبيح الخمور؟ فقال: هل جرى هذا؟ فقال: نعم الحانة الفلانية يباع فيها الخمور، وغيرها من المنكرات، وأنت تتقلب في نعمة هذه المملكة، يناديه كذلك

(١) رواه البخاري (٢٨٠٥).
(٢) رواه مسلم (٢٤٧٠).

بأعلى صوته والعساكر واقفون، فقال: يا سيدي هذا أنا ما عملته، هذا من زمان أبي، فقال: أنت من الذين يقولون ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فرسم السلطان بإبطال تلك الحانة.

يقول الباجي: سألت الشيخ لما جاء من عند السلطان وقد شاع هذا الخبر: يا سيدي كيف الحال؟ فقال يا بني رأيته في تلك العظمة، فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه، فقلت: يا سيدي أما خفته؟ فقال: والله يا بني استحضرت هيبة الله تعالى، فصار السلطان قدامي كالقط[١].

شجاعة ابن تيمية رحمه الله:

قال البزَّار: (كان رحمه الله من أشجع النَّاس، وأقواهم قلبًا، ما رأيت أحدًا أثبت جأشًا منه، ولا أعظم عناءً في جهاد العدو منه، كان يجاهد في سبيل الله بقلبه، ولسانه، ويده، ولا يخاف في الله لومة لائم، وأخبر غير واحد أنَّ الشيخ رحمه الله، كان إذا حضر مع عسكر المسلمين في جهاد يكون بينهم واقيتهم، وقطب ثباتهم، إن رأى من بعضهم هلعًا، أو رقَّة، أو جبانة، شجَّعه وثبته، وبشَّره، ووعده بالنصر، والظفر، والغنيمة، وبيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين، وإنزال الله عليهم السكينة.

وكان إذا ركب الخيل يتحنَّك ويجول في العدو كأعظم الشجعان، ويقوم كأثبت الفرسان، ويكبر تكبيرًا أنكى في العدو من كثير من الفتك بهم، ويخوض فيهم خوض رجل لا يخاف الموت.

وحدَّثوا أنَّهم رأوا منه في فتح عكة أمورًا من الشَّجَاعَة، يعجز الواصف عن وصفها.

(١) ((طبقات الشافعية)) للسبكي (٨/ ٢١١).

قالوا: ولقد كان السبب في تملك المسلمين إياها بفعله، ومشورته، وحسن نظره، ولما ظهر السلطان غازان على دمشق المحروسة، جاءه ملك الكرج وبذل له أموالًا كثيرة جزيلة على أن يمكنه من الفتك بالمسلمين من أهل دمشق، ووصل الخبر إلى الشيخ فقام من فوره، وشجَّع المسلمين ورغبهم في الشهادة، ووعدهم على قيامهم بالنصر، والظفر، والأمن، وزوال الخوف.

فانتدب منهم رجال من وجوههم، وكبرائهم، وذوي الأحلام منهم، فخرجوا معه إلى حضرة السلطان غازان، فلما رآهم السلطان قال: من هؤلاء؟ فقيل هم رؤساء دمشق، فأذن لهم فحضروا بين يديه، فتقدم الشيخ رحمه الله أولًا، فلما أن رآه أوقع الله له في قلبه هيبةً عظيمة، حتى أدناه وأجلسه، وأخذ الشيخ في الكلام معه أولًا في عكس رأيه عن تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين، وضمن له أموالًا وأخبره بحرمة دماء المسلمين، وذكَّره ووعظه فأجابه إلى ذلك طائعًا، وحقنت بسببه دماء المسلمين وحميت ذراريهم وصِين حريمهم)[(١)].

- **نماذج من شجاعة العلماء المعاصرين:**

شجاعة الشيخ ابن باز رحمه الله في إنكار المنكر:

(من شجاعة الشيخ ابن باز وقوته في الحق أنَّه ينكر المنكر، ويبيِّن الحق، ويردُّ على من أخطأ كائنًا من كان.

والأمثلة على ذلك كثيرة جدًّا، وهذا الأمر معروف عن سماحة الشيخ في مقتبل عمره، وبعد أن طعن في السن.

---

(١) ((الأعلام العلية)) للبزار، بتصرف (ص ٦٧).

ومن الأمثلة على ذلك: أنَّه لما نشرت صحيفة الجيش السورية كلامًا كفريًّا، يتضمن إنكار وجود الله سبحانه وتعالى، كتب سماحة الشيخ للرئيس السوري آنذاك، وهو نور الدين الأتاسي، وبيَّن له الحكم في ذلك، وأنَّ الواجب التوبة، وإعلانها في الصحف.

ومن ذلك أنَّه لما نشرت بعض الصحف الخارجيَّة أن بعض الرؤساء طعن في القرآن، وذكر أنَّه متناقض، وتكلَّم في شخص الرسول صلى الله عليه وسلم كتب إليه سماحة الشيخ، وبيَّن له فداحة ما قال، وأوضح له أن ذلك كفر وردة، وأنَّ الواجب عليه إعلان التوبة في الصحف التي نشرت كلامه.

ولما لم ينشر ذلك الشخص ما أشار به سماحة الشيخ، ولم يعلن توبته ورجوعه، كتب سماحته مقالًا مطولًا بيَّن فيه كفر ذلك الشخص، وردته، ونشرت ذلك بعض الصحف)[١].

الشَّجَاعَة في واحة الشعر:

قالوا: أشجع بيت قاله العرب قول العباس بن مرداس السلمي:

أشُدُّ على الكتيبةِ لا أُبالي   أحتفي كان فيها أم سواها[٢]

وقد مدح الشعراء الشَّجَاعَة وأهلها، وأوسعوا في ذلك، فمن ذلك قول المتنبي:

شجاعٌ كأنَّ الحربَ عاشقةٌ له   إذا زارها فدته بالخيلِ والرَّجْلِ[٣]

(١) ((جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز)) لمحمد إبراهيم الحمد (ص ٢٠٧).

(٢) ((عيون الأخبار)) لابن قتيبة الدينوري (٢/ ٢١١).

(٣) ((ديوان المتنبي)) (٥٢١).

وقال أيضًا:

وكم رجالٍ بلا أرضٍ لكثرتِهم ... تركتَ جمعَهمُ أرضًا بلا رجلِ

ما زال طرفُك يجري في دمائِهمُ ... حتى مشَى بك مشيَ الشاربِ الثَّمِلِ[١]

وقال آخر:

مِن كلِّ متسعِ الأخلاقِ مبتسمٌ ... للخطبِ إن ضاقتِ الأخلاقُ والحيلُ

يسعَى به البرقُ إلا أنَّه فرسٌ ... في صورةِ الموتِ إلا أنَّه رجلُ

يلقَى الرِّماحَ بصدرٍ منه ليس له ... ظهرٌ وهادي جوادٍ ما له كفلُ[٢]

وقال البحتري:

معشرٌ أمسكتْ حلومُهم الأر ... ضَ وكادتْ لولاهم أن تميدا

فإذا المحل جاء جاؤوا سيولًا ... وإذا النقعُ[٣] ثار ثاروا أسودا

وكأنَّ الإلهَ قال لنا في الـ ... ـحربِ كونوا حجارةً أو حديدا[٤]

وقال ابن حيوس:

إن تردْ خبرَ حالِهم عن يقينٍ ... فأْتِهم يومَ نائلٍ[٥] أو نزالِ[٦]

---

(١) ((ديوان المتنبي)) (٢٧٦).

(٢) ((نهاية الأرب)) للنويري (٣/٢٢١).

(٣) النقْعُ: الغُبار الساطِعُ. ((لسان العرب)) لابن منظور (٨/٣٥٩).

(٤) ((ديوان البحتري)) (١/ ٥٩٢).

(٥) نائل: النائِلُ ما نِلْت من معروف إنسان.. والتَّنَوُّل لا يكون إلا في الخير. ((لسان العرب)) لابن منظور (١١/٦٨٣).

(٦) نِزال: النِّزالُ في الحربِ أَن يتَنازَل الفريقان، وفي (المحكم) أَن يَنْزِل الفَرِيقان عن إِبلهما إِلى خَيْلهما فيَتضاربوا. ((المصدر السابق)) (١١/٦٥٦).

تلقَ بيضَ الوجوهِ سودَ مُثارِ الـ ـنقعِ خضرَ الأكنافِ[١] حمرَ النصالِ[٢]

وقال مسلم بن الوليد الأنصاري في يزيد بن مزيد:

تلقَى المنيةَ في أمثالِ عدتها كالسيلِ يقذفُ جلمودًا بجلمودِ[٣]

يجودُ بالنفسِ إذ ضنَّ الجوادُ بها والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ[٤]



(١) الأَكْنافِ: الجَوانِبِ. ((لسان العرب)) لابن منظور (١/١٩٥).

(٢) ((غرر الخصائص الواضحة)) للوطواط (ص ٤١٥)، والنصال: النصل نصل السهم والسيف والسكين والرمح. والجمع نصول، ونصال. ((الصحاح)) للجوهري (٥/١٨٣٠).

(٣) الجُلْمود: الصخر، وقيل: الجُلْمُود: أَصغر من الجَنْدل قدر ما يرمى بالقَذَّاف. ((لسان العرب)) لابن منظور (٣/١٢٩).

(٤) ((العقد الفريد)) لابن عبد ربه (١/١٠٨-١٠٩).

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة